"عَطـــاءُ القُرآنِ لبنـــاءِ الإنســـان

تَوجِيهَاتٌ وضَبطُ سُلوكِياتِ"

إعداد الدكتور:

أحمـــد حسين مهدي الأكـرت

مـــدرس التفســـير وعلـوم القـــــرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بالقاهرة

ملخص البحث

الحمد لله الحنان المنان، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد ولد عدنان، المبعوث إلى الإنس والجان، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان، وبعد،

فهذا بحث بعنوان (**عطاء القرآن لبناء الإنسان توجيهات وضبط سلوكيات**) يهدف الباحث من خلاله إلى إبراز وسائل بناء الشخصية الإنسانية بدنيا وروحيا ووجدانيا وفكريا وعقليا واجتماعيا، في ضوء الآيات القرآنية، فناقش دور العقل وأهميته في تكوين الشخصية الإنسانية، ثم أبرز عناية القرآن الكريم ببناء الإنسان بدنيا وجسدبا، من خلال تدابير وقائية تحافظ على أعضاءه الجسمية، كما بين التوجيهات القرآنية في بناء الإنسان عالمياً عن طريق العلاقات الدولية، والتعايش السلمي بين بني الإنسان في ضوء الشريعة الإسلامية.

Gifts of the Qur'an to build up the Human Being "Guidelines and Disciplines"

By: Dr. Ahmed Hussein Mahdy Al-Akrat

Lecturer in Hermeneutics and Qur'an

Faculty of Islamic and Arabic Studies (Males Branch) in Cairo

Abstract

This research, entitled (Gifts of the Qur'an to build up the Human Being "Guidelines and Disciplines), aims at examining the physical, spiritual, intellectual, mental and social aspects of building the human being in the light of the Qur'anic verses. In addition, the research discusses the role of the mind and its importance in forming the being. Then, it demonstrates the Qur'anic care to build up the human being physically and spiritually through setting protective measures that keep his precious organs. Finally, the research has handled the Qur'anic guidelines followed to build up the human being universally through international relations and peaceful co-existence in between all mankind in accordance with the Muslim jurisprudence.

Key words: Gifts of the Qur'an, building up the human being, co-existence

المقدمـــة

الحمدُ لله الحنانِ المنان، القائل في القرآن: ﴿ الرحمن ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤ ﴾ [1]، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيدنا محمد ولد عدنان، المبعوث إلى الإنس والجان، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان .

وبعـــد

فالقرآنُ الكريم كتابُ هدايةٍ، ومنهجُ حياةٍ، فيه بيانٌ مشرق لكلّ ما يحتاجه النّاس، ويكفل لهم السعادة في الدنيا والآخرة، لم يترك عنصراً من عناصر الخير والصلاح، عناصر الحياة الطيبة والسعادة الخالدة إلا أمر به، ودعا إليه، وحثّ عليه، ولم يترك عنصراً من عناصر الشّر والفساد، عناصر الحياة الذليلة، والشقاء المقيم، إلا نهى عنه، وحذّر منه، ونفّر منه، ذلك أنّ الإسلام بَنَى تكوينه للعالم على الواقع: وهو أنّ الإنسان جسمٌ، وروحٌ، وعقلٌ، وأنّ للجسم حظًا ومتعةً، وأن للروح حظًا ومتعةً، وللعقل حظًا ومتعةً، وأنّ للإنسان شخصيةً مستقلة عن بني جنسه، وشخصية بها يكون لبنة في المجتمع الوطني والإنساني، وأنّ له بكلّ من هاتين الشخصيتين حقوقًا، وعليه واجبات، ولا تتحقق سعادة الإنسان إلا باستكمال حظّ الجسم والروح والعقل، وتنظيم حقوقه، وواجباته في نفسه، وفي مجتمعه، دون إفراط ولا تفريط .

وكلّ ما جاء في الإسلام من عقائد، وعبادات، وآداب، وتشريعات، لا يخرج عن هذه الدائرة: دائرة حظّ الجسم، والروح، والعقل للإنسان في شخصه، وفي مجتمعه.

فالإنسانُ إذن هو: قضية القضايا في الدين، وهو محور هذا الكون، وهو سيّدٌ في هذا الكون، والذي أعطى له هذه المكانة الفريدة هو: الله – سبحانه –، الذي جعله خليفةً في الأرض، وأسند إليه مهمة تعمير الكون، وصنع الحضارة فيه، ولذلك كان كلّ ما في القرآن الكريم: إما

(١) – سورة الرحمن (١-٤) .

حديثًا عن الإنسان، أو حديثًا إلى الإنسان، وأنّ الموضوع الأساس الذي يركز عليه القرآن الكريم هو: الإنسان.

واستمساك الإنسان بالمبادئ الإلهية التي بيّنها الله في كتابه، وختم بها الرسالات السماوية، وأجملها بقوله عن القرآن: " ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ الإسراء: ٩ يستطيع الإنسان من خلالها أن يبتعد بنفسه، وبالعالم عن النكبات التي يعيشها، فالعالم اليوم يُقاسي ألوانًا من الشرور والمفاسد، ويكابد من الآلام والمتاعب ما يقضِ عليه مضاجع الأمن والاستقرار، ويزلزل كيان الطمأنينة والسعادة في الأفراد والجماعات، وليس من سرّ في هذا سوى انسياق النّاس في حياتهم مع نظم وضعها الإنسان، وأملتها عليه الشهوات والنزعات، لم يقدّر فيها مصالح البشر، ولم يُلاحظ مقتضى الطبيعة الإنسانية، فجاءتْ مختلفة باختلاف بواعثها، مضطربةً باضطراب ألوانها وغاياتها، متنازعةً بالعصبية لها، والتناحر عليها، كلّ أمة تعمل جاهدة على أن يسود نظامها، وتعلو كلمتها، ويستقر في العالم سلطانها، وتُصبح ذات السيادة المطلقة، والكلمة النافذة، فمن شيوعية إلى رأسمالية إلى غير ذلك من ألوان عبّروا عنها بكلماتٍ مخترعةٍ خطفوا بها أبصار النّاس، وزلزلوا ضمائرهم عن الإيمان الحق .

وقد جاءتْ هذه اللبنة كنوع لكيفية بناء الإنسان كما يصوره القرآن الكريم، وهي مشتملة على مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثةِ فصولٍ، وخاتمةٍ، وفهارس:

أما المقدمة: فبعد الثناء على الله – تعالى – فيها، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم تناولتْ الحديث عن أهمية الموضوع، ومكانته.

وأما التمهيد: ففيه الحديث عن مفردات الموضوع من حيث: العطاء – البناء – الإنسان – التوجيهات – السلوكيات .

وأما الثلاثة فصول: فهي على النحو التالي:

الفصل الأول: بناء الشخصية الإنسانية في ضوء الآيات القرآنية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بناء الإنسان روحيا ووجدانيا، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الإنسان والدين .

المطلب الثاني: الضمير الإنساني .

المطلب الثالث: آفات البناء الروحي وكيفية علاجها في ضوء القرآن الكريم .

المبحث الثاني: بناء الإنسان فكريا وعقليا، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العقل ومقاصد الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: الوظيفة التربوية للعقل.

المطلب الثالث: مبطلات التفكير السليم.

المبحث الثالث: بناء الإنسان جسداً ومادياً، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القرآن وعنايته بالأبدان.

المطلب الثاني: التدابير الوقائية في المحافظة على أعضاء الإنسان الجسمية.

الفصل الثاني: البناء المجتمعي في المنهج القرآني، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحديث القرآني عن الأسرة.

المبحث الثاني: التضامن الاجتماعي في البيان القرآني.

المبحث الثالث: المواطنة والعمل المشترك.

الفصل الثالث: التوجيهات القرآنية في بناء الإنسان عالمياً عن طريق العلاقات الدولية، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: القرآن الكريم وترسيخ القيم الحضارية.

المبحث الثاني: القرآن الكريم وتوثيق العلاقات الدولية والتعايش السلمي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قواعد العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية.

المطلب الثاني: القرآن والتعايش السلمي بين بني الإنسان .

الخاتمة.

الفهارس .

التمهيد:

وفيه تعريف بمفردات البحث، ومعاني كلماته، والمراد من هذا العنوان:

الْعَطاء: مَا يعْطى، والجمع: أعطية، وقيل: العطاء: اسم جامع فإذا أفرد قيل العطية، وجمع الجمع: أعطيات، وأعطيات الْمُلُوك هباتهم وأعطيات الْجند أَرْزَاقهم وَمَا يرتب لَهُم من مَال، والْعَطِيَّة: الْعَطاء (ج) عطايا، والعطاء: للغني والفقير، والتصدق: يختص بالفقراء .(١)

البناء: من البني : نقيض الهدم ، يقال : بنى الشَّيْء : بنيا وَبِنَاء وبنيانا أَقَامَ جِدَاره وَنَحْوه يُقَال بنى السَّفِينَة وَبنى الخباء وَاسْتعْمل مجَازًا فِي معَان كَثِيرَة تَدور حول التأسيس والتنمية يُقَال بنى مجده وَبنى الرِّجَال قَالَ الشَّاعِر:

يَبْنِي الرِّجَال وَغَيره يَبْنِي الْقرى شتان بَين قرى وَبَين رجال

وَبنى الطَّعَام جِسْمه وَبنى على كَلَامه احتذاه وَاعْتمد عَلَيْهِ وبزوجته وَعَلَيْهَا دخل بهَا والكلمة ألزمها حَالَة وَاحِدَة . (٢)

الإنسان: اسْمُ جِنْسٍ يَقَعُ عَلَى الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى وَالْوَاحِدِ وَالْجَمْعِ ، وَاخْتُلِفَ فِي اشْتِقَاقِهِ مَعَ اتِّفَاقِهِمْ عَلَى زِيَادَةِ النُّونِ الْأَخِيرَة ، والْإِنْسَان هو : الْكَائِن الْحَيّ المفكر ، وإنسان الْعين ناظرها ، وإنسان السَّيْف والسهم حدهما ، وَالْإِنْسَان الراقي ذهنا وخلقا وَالْإِنْسَان المثالي الَّذِي يفوق العادي بقوى يكتسبها بالتطور ، (ج) أناسي (أَصله أناسين) . (٣)

(١) – تاج العروس للزبيدي ٣٩/ ٦٢مادة :(ع، ط ،و) ، الكليات للكفوي ١/ ٦٥٤فصل العين ، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ٢/ ٦٠٩باب العين

(٢) – تاج العروس للزبيدي ٣٧/ ٢١٦فصل الباء مع الواو والياء مادة :(بنى) ، المعجم الوسيط ١/ ٧٢ .

(٣) – المصباح المنير للفيومي ١/ ٢٥كتاب الألف (الألف مع النون وما يثلثها) مادة :" أنس " ، تاج العروس للزبيدي ١٥/ ٤١١ ، المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية ١/ ٢٩ .

توجيهات: جمعٌ، مفردها: توجيه (لغير المصدر)؛ إذ مصدرها: وجَّهَ، يُقال: (تَوَجَّهَ) نَحْوَهُ وَإِلَيْهِ، وَشَيْءٌ (مُوَجَّهٌ) إِذَا جُعِلَ عَلَى جِهَةٍ وَاحِدَةٍ لَا تَخْتَلِفُ(١).

سلوكيات: من سلَكَ يسلُك، سَلْكًا وسُلوكًا، فهو سالِك، و(السلوك): سيرة الْإِنْسَان ومذهبه واتجاهه، يُقَال: فلَان حسن السلوك أَو سيء السلوك.(٢)

والمراد به هنا: ما أورده القرآن الكريم وذكره من فتوحات وأعطيات ونفحات في مراعاة القيم والمبادئ الأخلاقية والإنسانية المستمدة من الشرع الحنيف، وترجمة هذه القيم والمبادئ إلى برامج عمل؛ ليتمكن الإنسان الذي له قلب وألقى السمع وهو شهيد فاستفاد من هذا الخير الموجود في القرآن الكريم كما يستفيد الإنسان مما يقدم إليه من عطاء في الجوانب المادية، ويقوم بتطبيقها حتى ينضبط السلوك الإنساني .

(١) – مختار الصحاح صـ ٣٣٤ مادة (و ج هـ)

(٢) – المعجم الوسيط صـ ٤٤٥، مادة (سلك).

الفصل الأول:

بناء الشخصية الإنسانية في ضوء الآيات القرآنية:

الشخصية لفظة تستعمل – عند علماء الاجتماع – غالبا للتعبير عن مكونات فرد ما ، وما يمكن أن نتعرف عليها من خلال صفاته البارزة ، أو تصرفاته التي نشاهدها أو سلوكه الخلقي أو علاقته بالآخرين أو أسلوبه في التفكير وطريقة الفهم ، ولم يستخدم القرآن الكريم تلك اللفظة بأي معنى من المعاني التي ذهب إليها النفسيون ، وإنما استخدم بعض مشتقات المادة مرتين : واحدة : تشخص " ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١)، وأخرى : " شاخصة " ﴿ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (٢)، وأقرب الألفاظ التي استخدمت في النص الإسلامي قريبا من دلالة الشخصية عند علماء النفس هي لفظة الإنسان والناس ، أما في اللغة العربية فإن المتأمل في كلمة (الشخص) يجد أنها تدور مع ما سبق تعريفه .(٣)

ويعتبر بناء الإنسان بناءً متكاملًا جسديًّا وروحيًّا وفكريًّا ونفسيًّا وأخلاقيًّا من أولى اهتمامات منهج الإسلام – بل يعدّ مركز هذا الاهتمام وبؤرته –، ويرجع هذا الاهتمام إلى علو منزلة الإنسان بين سائر المخلوقات، ولعظم دوره المستخلف فيه من الله؛ لبناء العمران الماديّ والمعنويّ لمجتمعه، ولم يكن بناء الإنسان بالأمر الهين اليسير، فمهمة بنائه كانت وما تزال الأصعب والأهم من بناء المصانع، وذلك راجع إلى أنّ الإنسان المطلوب هو الذي تتوازن

(١) – سورة إبراهيم من الآية (٤٢).

(٢) – سورة الأنبياء من الآية (٩٧).

(٣) – المنهاج القرآني : تكوين وإقناع د / عبد الله يوسف الشاذلي صـ ١٠٦، ١١٣ بتصرف ط : المكتبة القومية الحديثة بطنطا .

أشواقه الروحية ونزعته العقلية وعواطفه وغرائزه مع اهتماماته وتوجيهاته الدنيوية وأشواقه الروحية بحيث تتصالح هذه التوجيهات والاهتمامات ولا تتصادم أو تتحارب.

هذا الإنسان هو المطلوب اليوم وغداً حتى يؤدي مهمة استخلافه على الوجه الذي يراد له .

والإنسان محور المنهج الإلهي، وله غاية من خلقه يريد خالقه أن يبلغها من خلال الالتزام بقواعد منهجه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1]، ولقد تميز الإنسان باستعدادات وقدرات يمكن تنميتها من اتباع قواعد المنهج الإلهي ثم الارتقاء بالإنسان ارتقاءً متكاملًا في إطار هذه القواعد.

ولذلك جاء الحديث عن خصائص الطبيعة الإنسانية من خلال المباحث الآتية :

المبحث الأول : بناء الإنسان روحيا ووجدانيا :

قال الله – تعالى - :﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [2]، وقال سبحانه: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [3]، فالروح نفحة من نفحات الخالق – سبحانه – وهي سرّ من أسراره أودعها الله – تعالى – هذا الجسد المادي فوهبته الحياة حتى يستطيع أن يؤدي مهمته ووظيفته ، ويكون مدركا لظروف عصره ومتطلباته بحيث يتفاعل مع البيئة وأن ينفعل بها ، وأن يؤثر فيها ويتأثر بها ، ويظهر ذلك من خلال هذه المطالب :

(١) – سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٢) – سورة السجدة الآية (٩).

(٣) – سورة الإسراء الآية (٨٥).

المطلب الأول: الإنسان والدين .

قال الله – تعالى – : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾.(١)

فهذا تمثيلٌ للإقبال على الدِّين والاستقامة والثباتِ عليه والاهتمامِ بترتيبِ أسبابِه، فإنَّ من اهتمَّ بشيءٍ محسوسٍ بالبصر عقدَ عليه طرفَه، وسدَّد إليه نظره، وقوّم له وجهه، مُقبلاً به عليه مستقيماً غير ملتفت يميناً وشمالاً إلى غيره من الأديان الباطلة، والفطرة في الأصل: الخلقة، والمراد بها هنا: الملة وهي الإسلام والتوحيد، ومعنى {فِطْرَةَ الله} أي: الزموا أو عليكم فطرةَ الله، والمرادُ بلزومِها: الجريانُ على موجبِها، وعدمُ الإخلالِ به باتباعِ الهَوَى وتسويلِ الشَّياطينِ، والخطاب للجميع كما يفصحُ عنه قولُه تعالى: {منيبين}، والإفراد في { أقِم } لما أنَّ الرَّسولَ صلى الله عليه وسلم إمام الأمة، فأمره صلى الله عليه وسلم مستتبعٌ لأمرِهم، وقولُه تعالى { التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} صفةٌ لفطرةَ الله مؤكدةٌ لوجوبِ الامتثالِ بالأمرِ، فإنَّ خلقَ الله النَّاسَ على فطرتِه التي هي عبارةٌ عن قبولِهم للحقِّ، وتمكُّنُهم من إدراكِه، أو عن ملَّة الإسلامِ من موجباتِ لزومِها والتمسُّك بها قطعاً، فإنَّهم لو خُلُّوا وما خُلقوا عليه أدَّى بهم إليها، وما اختاروا عليها ديناً آخر، ومن غَوى منهم فبإغواءِ شياطين الإنسِ والجنِّ، {لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ} أي: لا ينبغي لأحدٍ أن يبدّل أو يغير فطرة الله، وهو خبر في معنى النهي أو الطلب، أي: لا تبدلوا خلق الله ودينه بالشرك، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها.

وهذا دليلٌ على سلامة الخِلْقة العقدية، ونقاوة العقل البشري في أصل التكوين والوجود، ثم يحدث التغيير بتأثيرات البيئة من أهواء وعلوم ومعارف زائغة، وموروثات باطلة، وتقليد

(١) – سورة الروم الآية (٣٠).

مستمر للأسلاف، دون إعمال الفكر، وتكوين الاعتقاد بالنظرة المستقلة الصائبة، ولو ترك الإنسان وشأنه لما اختار غير الإسلام دينا؛ لأنّه دين الفطرة والعقل.(١)

فـ [الدين فطرة أصيلة في نفس الإنسان فطره الله عليها، فهو أحد المكوّنات الرئيسة لكل الحضارات التي صنعها الإنسان على مدى تاريخ البشرية ، وليست هناك أمة عاشت ثم مضت دون أن يكون لها تصور بشكل من الأشكال عن الدين والألوهية والمصير ، وإذا كان الدين يلبي حاجات الإنسان الروحية فإن ذلك يعني أنه قد جاء لمصلحة الإنسان ، وإذا تأملنا تشريعات الإسلام كلها بما فيها العبادات نجد أنها جميعاً تنطلق من منطلق واحد هو مصلحة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

إن الإسلام هو نفس تلك الفطرة ، فالإسلام ليس بتقاليد وموروثات وآراء وشروح ، ولكنه تلك الفطرة مجردة من كل شائبة ، وهي تؤدي بالإنسان – بقواها الذاتية – إلى أقوم طريق ، وأعدل المذاهب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة "(٢) أي : أن كل مولود يولد مفطوراً على الدين الخالص الذي هو الدين الحق وحده وهذا يعني أن الإنسان متدين بطبعه] .(٣)

(١) – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود٧/ ٦٠، التفسير المنير د/ وهبه الزحيلي٢١/ ٨٣.

(٢) – أخرجه البخاري في صحيحه ك : الجنائز ، ب : ما جاء في أولاد المشركين ٢/ ١٠٠ ح(١٣٨٥) ، ومسلم في صحيحه ك : القدر ، ب : معنى كل مولود يولد على الفطرة ٤/ ٢٠٤٧ ح(٢٦٥٨) عن أبي هريرة .

(٣) – الحضارة فريضة إسلامية أ . د/ محمود حمدي زقزوق صـ ١٤ هدية هيئة كبار العلماء ضمن مجلة الأزهر شهر رجب ١٤٣٨هـ = أبريل ٢٠١٧م ، الإسلام دين عام خالد : تحليل دقيق لمبادئ الدين الإسلامي للأستاذ/ محمد فريد وجدي صـ ٤٥ وما بعدها سلسلة مجمع البحوث الإسلامية عام ٢٠١٨م .

فالإسلام عقيدةٌ تقوم على الفهم والإقناع ، ومعرفة الله – تعالى – تُبنى على التأمل والتفكر، وشريعةٌ تؤسس على العلم بالمصادر والقدرة على الاجتهاد والاستنباط، وتستوعب أحكامها شئون الحياة وجوانبها وعلاقاتها المتعددة، وهو دينٌ يهتم بالسلوك الإنساني، وتحليل بواعث الأفعال وعلل الصفات النفسية وعلاجها، ويتناول النفس الإنسانية في فطرتها ودوافعها الخيرة والشريرة والفاضلة والمذمومة، ويتحدث عن كلّ ذلك باستفاضة مرغبًا في الخير محذرًا كلّ التحذير من مسالك الشر وعواقبه الوخيمة، ويبيّن لتلك النفس نشاطها المطلوب والمحمود في الدنيا، والذي إن قامت به حققت السعادة في الدنيا والآخرة وإلا تعستْ في الأولى وشقيتْ في الآخرة .

وكون الإنسان خليفة الله في الأرض تقتضيه تلك الخلافة أن يفهم طبيعتها من الإسلام، ومهامها من أحكامه، وأن يعي بعلمٍ مستنيرٍ هذا الكون ومظاهره وقوانينه، وأن يستثمر هذا الوعي لمنفعته الدنيوية، وفي علاقته بربه عن طريق العلم بحكمته وإبداعه وأسراره العميقة في هذا الكون ، ويكون بذلك جديراً بمنصب الخلافة ما دام يتبع قانون السير والنظر في هذا الكون استخلفه الله عليه .

[وقد اهتم القرآن ببناء الدين ويظهر ذلك من خلال دعوة القرآن إلى حرية العقيدة: فلم يلبث الإسلام أن استقر وتبينت للناس تعاليمه حتى قرّر بهذا الصدد ثلاثة مبادئ هي أرقى ما وصل إليه التشريع الحديث بصدد حرية الأديان والمعتقدات:

أحدها: أنّه لا يرغم أحدًا على ترك دينه واعتناق دينٍ آخر ولو كان الإسلام، وفي هذا يقول الله – تعالى- :﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾ [1]، وعلى هذا المبدأ سار المسلمون في حروبهم مع أهل الأديان الأخرى، فهذا عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –

(١) – سورة البقرة من الآية (٢٥٦).

يقول في كتابه لأهل بيت المقدس عقب فتحه له: " هذا ما أعطى عمرُ أمير المؤمنين أهلَ إيلياء من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم، لا يكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحدٌ منهم " .

المبدأ الثاني الذي سنّه الإسلام بهذا الصدد هو: حرية المناقشات الدينية، ولذلك ينصح الله تعالى للمسلمين أن يلتزموا جادة العقل والمنطق في مناقشاتهم مع أهل الأديان الأخرى ، وأن يكون عمادهم الإقناع وقرع الحجة بالحجة والدليل بالدليل ، وفي هذا يقول الله – تعالى – مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(١)، ويقول مخاطبا المؤمنين: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾(٢)، ويقول مخاطبا أهل الأديان الأخرى: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (٣)، ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآ ﴾(٤)، ﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾(٥)، وكان الخلفاء من بني العباس وغيرهم يعقدون المجالس للمناقشات الدينية فيجتمع عندهم علماء كثيرون ينتمون إلى مختلف الطوائف وشتى الأديان والفرق، فيتناقشون في شئون العقائد، ويوازنون بين الأديان، كلٌّ يدلي بحجته، ويبيّن رأيه في حريةٍ وأمنٍ واطمئنانٍ، ولم يكن الخلفاء يحتملون هذه المناقشات فحسب، بل كانوا يشجعون عليها بمختلف وسائل التشجيع ويشتركون فيها بأنفسهم .

(١) – سورة النحل من الآية (١٢٥).

(٢) – سورة العنكبوت من الآية (٤٦).

(٣) – سورة البقرة من الآية (١١١).

(٤) – سورة الأنعام من الآية (١٤٨).

(٥) – سورة الأحقاف الآية (٤).

والمبدأ الثالث الذي وضعه الإسلام بهذا الصدد هو: أن الإيمان الصحيح هو ما كان منبعثا عن يقين واقتناع لا عن تقليد واتباع ، وبذلك حطم الإسلام القواعد التي قام عليها التدين في كثير من الأمم من قبله، وهي قواعد التقليد والاتباع وإهمال النظر والتفكر الحر، وأهاب بالنّاس أن يجعلوا عمادهم في عقائدهم ونشر دينهم الدليل العقلي والمنطق السليم ، وحثّ على رفض ما لا يؤيده علم ، ولا يعززه دليل ، ولقد أخذ الله على المشركين التقليد الأعمى لآبائهم وإغفالهم جانب النظر والتفكير قال تعالى :﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ (١)، ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٢)، وقول الإمام الشيخ محمد عبده : " إن التقليد بغير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين، وإن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى اقتنع به ، فليس القصد من الإيمان أن يذلل الإنسان للخير كما يذلل الحيوان ، بل القصد أن يرتقي عقله وترتقي نفسه بالعلم فيعمل الخير ؛لأنه يفقه أنه الخير النافع المرضي لله ،ويترك الشر ؛ لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته "] . (٣)

(١) – سورة البقرة الآية (١٧٠).

(٢) –سورة المائدة الآية (١٠٤).

(٣) – حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور / علي عبد الواحد وافي صـ ١٠٧وما بعدها ط (٣) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جمادى الأولى ١٤٢٩هـ =مايو ٢٠٠٨م .

المطلب الثاني : الضمير الإنساني :

إنّ الضمير يملك على الإنسان باطنه وظاهره وخلوته قبل جلوته، فـ [هو الذي يربط الإنسان بالرقيب الذي لا ينام، وبالعالم الذي لا يجهل، وبالقويّ الذي تؤمن الفطر بقوته، والذي يتلقى الإنسان به نُظم حياته عن ذلك الرقيب العالم القوي القاهر، فتأخذ من نفسه ما يأخذ منها مصدرها ، ويمنحها نفس الاحترام الذي يمنحه لمصدرها، ويتوخى في جميع أفعاله ما يرضي ذلك المصدر القوي القاهر فيكون خيراً كله ، فلا يماري، ولا يخادع، ولا يغش، ولا يخون ، ولا يقصّر في حقٍّ، ولا يتقاعس عن واجبٍ، فيسلم في الحياة وتسلم له الحياة] . (١)

إذن فالضمير هو: تلك القوة الروحية التي تحكم مواقف الإنسان وتفكيره، فتجعله يميّز بين الخطأ والصواب، وهو منحة الله – عزّ وجلّ- للإنسان يدله من خلاله على ما فيه خيره وصلاحه ومرضاة الله – عزّ وجلّ – قال الله – تعالى - : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.(٢)

قد أقسم الله – تعالى- بالنفس والذي سواها وأحكم أمرها ومنحها القوى والغرائز التي تستكمل بها الحياة، فترتب على ذلك أن خلق لها عقلًا يميّز بين الخير والشرّ وذلك من تمام التسوية، وأقدرها على فعل المعصية التي تهلكها والخير الذي ينجيها ويقيها من السوء، قد أفلح من زكاها ونماها وأعلاها، وقد خاب وخسر من دساها حتى جعلها في عداد نفوس الحيوانات، فإنّ الإنسان يرتفع عن الحيوان بتحكم العقل والسمو بالنفس عن مزالق الشهوات، أمّا إذا انحط إلى المعاصي وحكم الشهوة في نفسه كان هو والحيوان سواء، ويصدق

(١) – من توجيهات الإسلام للشيخ / محمود شلتوت صـ١٦ ط (٩) دار الشروق عام ٢٠١٠م .

(٢) – سورة الشمس الآية (٧-١٠).

عليه: أنّه دسى نفسه وأنقص مرتبتها، وجعلها في عداد نفوس الحيوانات التي تحكمها شهوتها لا عقلها.(١)

[فالضمير أساس الدين وجوهره، وإذا استعمل الإنسان ضميره بالشكل الصحيح، فإنّه سيشعر برغبة شديدة في معرفة الخالق – سبحانه –، وستصبح هذه الرغبة هي الهدف الوحيد في حياته، وسيكتشف بأنه بأمسّ الحاجة إلى الله الذي خلقه وأوجده من العدم، وأسبغ عليه بنعمة الحياة، وأن القوة كلها بيد الله – تعالى –، إن الإنسان الذي يفكر في وجوده متجاهلا صوت ضميره لا بد وأن يتساءل عن هدف وجوده، وسيكتشف بفطرته خلال رحلة بحثه عن الإجابة عليه بأنّ عليه: العودة للقرآن الكريم ووحي الله – تعالى – ، وأهم ما يفعله عندما ينوي قراءة القرآن أن يكون ضميره يقظًا، ويقرأه مخلصا النية، وأن يطبق ويعيش عملياً التعاليم التي وردت فيه، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾(٢) ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(٣)، إنّ الهدف من حياة الإنسان على هذه الأرض هو اختباره، قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٤)، وقال : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾(٥)، فانصياع الإنسان لصوت الضمير باستمرار يهدي إلى الخُلق القرآني، فعندما يصل الإنسان إلى اليقين بوجود الله – تعالى – واليوم الآخر يصبح

(١) – التفسير الواضح د/ محمد محمود حجازي ٣/ ٨٦٩.

(٢) – سورة المؤمنون الآية (١١٥).

(٣) – سورة الذاريات الآية (٥٦–٥٨).

(٤) – سورة الملك الآية (٢).

(٥) – سورة الإنسان الآية (٢–٣).

هدفه الأوحد هو: أن يسأل الله في كلّ أفعاله رضاه والجنة ، فمن غير المعقول أن يتصرف الإنسان تبعاً لضميره وحكمته، ثمّ يضع لحياته هدفا مغايراً لهذا، ويخطئ إذ يعتقد أنّ الدين يحتلّ جزءاً بسيطاً من حياته، ويتمثل في أداء بعض طقوس العبادة في أيام معينة، فعلى العكس من ذلك يقول الله – تعالى – في كتابه: إن حياة الإنسان الذي فرضت عليه يجب أن تكون في مرضاة الله – تعالى – ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1]، إنّ تصرفات الإنسان الذي أدرك جوهر القرآن وأفكاره تكون قائمة على تعاليم الإسلام الخيرة، وبتعبير آخر: فإنّه يلتزم بما يمليه عليه ضميره، فضمير الإنسان يتكبّد مشقة شديدة في العمل على إرضاء الله – تعالى – ولا يكترث أبداً بإرضاء الناس أو بنظراتهم إليه بل يثوب إلى الله وحده .

إنّ صوت الضمير الإنساني يحرّك في الإنسان العدالة ومكارم الأخلاق والاستقامة والتواضع والإخلاص وكل ما هو صالح] [2]، ويدفع به إلى البناء والتقدم والرقي والازهار وتشيد حضارة وصناعة تاريخ .

ولمّا كان الضمير الإنساني على درجة وثيقة بالمرض النفسي بما يترتب عليه من قلق واضطراب، على أساس أنّ محاسبة الضمير لصاحبه على ارتكابه الإثم والخطيئة هو الدافع إلى ما يصيبه من عوامل القلق والاضطراب، ولذلك سنتحدث عن الآفات الروحية .

(١) – سورة الأنعام الآية (١٦٢).

(٢) – أهمية الضمير في القرآن د/ هارون يحيى صـ ٢٥ وما بعدها ترجمة ومراجعة / مصطفى الستيتي .

المطلب الثالث : آفات البناء الروحي وكيفية علاجه في ضوء القرآن الكريم :

قال الله – تعالى – : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾(١)، وقال: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾(٢).

فالنفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فما لم يكرر عليها عودًا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله، ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا؛ ليركزه في قلوبهم، ويغرسه في صدورهم، فالمؤمنون إذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده تعالى: أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم، ثمّ إذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة، فلقد جعله الله سببًا كاملًا جامعًا لوسائل الهدى، فمن فطر الله عقله ونفسه على الصلاحية لقبول الهدى سريعًا أو بطيئًا اهتدى به، كذلك ومن فطر الله قلبه على المكابرة، أو على فساد الفهم ضلّ فلم يهتد حتى يموت على ضلاله، فأطلق على هذا الفطر اسم الهدى واسم الضلال، وأسند كلاهما إلى الله؛ لأنّه هو جبار القلوب على فطرتها وخالق وسائل ذلك، ومدبّر نواميسه وأنظمته.

[إنّ الاستقرار النفسي يُعدّ من العوامل الهامة التي تساعد على البناء المتكامل للإنسان بحيث يصبح قادراً على المشاركة الإيجابية في بناء مجتمعه، وفي المقابل فإنّ القلق والاضطرابات النفسية تعدّ معوقاً من معوقات هذا البناء، فاليد المرتعشة لا تقوى على البناء، والفكر

(١) – سورة الرعد الآية (٢٨).

(٢) – سورة الزمر الآية (٢٣).

المضطرب لا يساعد على التفكر والتأمل، والنفس الشاردة لا يمكنها مشاركة الآخرين في صنع تقدمهم ، ولذلك فإنّ المنهج الإلهي يتعامل مع النفس الإنسانية بما هي عليه من واقع، وهو يحاول بشتى وسائل التأثير المختلفة أن يرتقي بهذه النفس إلى المستوى الذي يلائم طبيعتها ويناسب سماتها وخصائصها ، فإذا ما أراد الإنسان أن يجنب نفسه عوامل القلق والجزع، أو أن يخفف من تأثير هذه العوامل عليه، فإنّ سبيله إلى ذلك هو أن يلجأ إلى الله وإلى منهجه، وإلى القيم الدينية والروحية؛ لأنّها تخلّص العقل من أوهامه، وتشفي القلب من وساوس شيطانه، بل وتوفر لها أسباب الراحة والطمأنينة] .(١)

ومن آفات النفس الإنسانية: التشاؤم، والجزع، والفزع، والهلع، والقلق، وسوء الظن، والشك، والعجلة، واليأس، والقنوط، والوهن والضعف، واتباع الهوى، والإحباط، و الخوف، وغير ذلك .

وقد عالج القرآن الكريم كثيراً من هذه الآفات، وذلك عن طريق: الإيمان، والتفاؤل، والسكينة، والتوكل، والثبات، والرضا، والطمأنينة، واليقين، وحسن الظن، والذكر، والقناعة، والاستعانة بالصبر والصلاة .

فالمعالجة إنما تتمثل في المحاور التالية:

الأول: الإيمان والصحة النفسية: من حيث إن الإيمان اطمئنان قلبي، فيه يجد سكونه وأمنه، وبه يواجه مسببات أكداره وأحزانه، وتُضاء جوانب حياته، وتغمر بأنوار التوحيد فتشع أنوار التوحيد على سائر جوارحه، وبه يمتلئ يقينا وثباتا فلا تزعزعه الأهواء، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا

(١) – الإسلام والبناء الروحي والعقلي للإنسان للأستاذ / عبد التواب إبراهيم رضوان صـ ٨٧ ، ٩٢ بتصرف . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : العدد (١٣٧) في رجب١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦م .

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾[1].

الثاني: القدرة على مواجهة الشدائد والصعاب: تعتبر هذه القدرة بمثابة طاقة نفسية تساعد الإنسان على الاحتفاظ بثباته واتزانه في مواجهة مشكلات الحياة ومعوقاتها، ذلك الثبات والاتزان الذي يقوى به الإنسان على عوامل الضعف والوهن والانطواء والانعزالية، والذي يساعد على تخطي الصعاب والمعوقات التي تعترض طريقه، ولقد بيّن القرآن الكريم الأسلوب السليم لرعاية هذه القدرة ، وذلك فيما ذكره لقمان الحكيم لابنه في وصيته الخالدة : ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾[2].

إذ جمع لقمان لابنه الإرشاد إلى فعله الخير، وبثّه في الناس، وكفّه عن الشر، وزجره الناس عن ارتكابه، ثم أعقب ذلك بأن أمره بالصبر على ما يصيبه، ووجه تعقيب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بملازمة الصبر؛ لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد يجران للقائم بهما معاداة من بعض الناس أو أذى من بعض، فإذا لم يصبر على ما يصيبه من جراء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو شك أن يتركهما، ولما كانت فائدة الصبر عائدة على الصابر بالأجر العظيم عدّ الصبر هنا في عداد الأعمال القاصرة على صاحبها ولم يلتفت إلى ما في تحمل أذى الناس من حسن المعاملة معهم حتى يذكر الصبر مع قوله "ولا تصعر خدك للناس" .[3]

(١) – سورة الأنفال الآية (٢).

(٢) – سورة لقمان الآية (١٧-١٩).

(٣) – التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور٢١/ ١٦٥.

الثالث: **القدرة على إقامة علاقات سليمة مع الآخرين**: فالإنسان السويّ من الناحية النفسية هو الذي يدرك أنّ وجوده ككائن اجتماعي يتطلب منه الاعتراف بحاجته إلى باقي أفراد مجتمعه، وإلى تعاونه معهم واضطلاعه بدور اجتماعي من أجل حياة أفضل له ولمجتمعه قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾[1] .

الرابع: **القدرة على الأخذ والعطاء والتضحية**: حيث حبب المنهج الإلهي إلى المؤمنين به أن تكون نفوسهم سخية وأكفهم ندية ، كما دعاهم إلى التوجه شطر كل خير ، ووجهة كلّ بِرّ عملا بقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ ﴾[2]، وقوله سبحانه : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيۡرٗا لِّأَنفُسِكُمۡۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٦ ﴾[3].

والمعنى: وابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم، وليكن أحب شيء إلى النفس حب الله ورسوله، واسمعوا مواعظه وأوامره سماع قبول، وأطيعوا في كل ما أمر، وأنفقوا مما رزقكم يكن خيرا لكم وأفضل، ولا يكن الولد والأهل مدعاة للجبن والبخل، واعلموا أنه من يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. [4]

الخامس : **القدرة على السمو بالغرائز والتسامي بها** : وذلك وفق القيم الدينية والأخلاقية ، ووفق العرف والعادات والأنماط الثقافية السائدة في مجتمعه . [5]

(١) – سورة الحجرات من الآية (١١).

(٢) – سورة البقرة من الآية (١٤٨).

(٣) – سورة التغابن الآية (١٦).

(٤) – التفسير الواضح ٣/ ٦٩٠.

(٥) – الإسلام والبناء الروحي والعقلي للإنسان صـ ٩٣ وما بعدها بتصرف .

المبحث الثاني : بناء الإنسان فكريا وعقليا :

قال الله – تعالى – : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾.(١)

فالعقل من أعظم نعم الله على العباد، جعله الله فرقاً بينه وبين الحيوان بما أودع فيه من طاقة للحكم على الأمور، واستخلاص النتائج من مقدماتها، والغوص إلى معرفة الحقائق الكونية، والاستدلال بها على عظمة الخالق سبحانه، وكمال قدرته وحكمته من خلال رؤية إتقان المخلوقات وإحكامها، وتمكينه من استغلال ما أودع الله في الكون من المصالح وفق مراد الله سبحانه وتعالى.

ولذلك لم يكن العقل والتفكير فريضة في الشريعة الإسلامية بل كان من الكليات الخمس التي اتفقت عليها الشرائع السماوية والرسالات الإلهية التي جاءت بها الرسل إلى البشرية .

المطلب الأول : العقل ومقاصد الشريعة الإسلامية :

العقل هو : أداة التفكير التي يعمر بها الكون وتدبر الحياة ويتلقى به شرع الله، وإذا عدم هذا العقل اختل نظام الحياة، لذا كان حفظ العقل ضرورة تجب مراعاته وعدم التفريط فيه ؛ لأنه مناط التكليف ، فإن فُقد العقل مطلقاً كالمجنون جنوناً مطبقاً ، فليس أهلاً للتكليف مطلقاً ، وإن كان فقده في وقت وعاد إليه في وقت آخر كمن جنونه غير مطبق، فإنه يكون مكلفاً وقت برئه وليس بمكلف وقت جنونه ، وإن كان عقله ناقصاً نقصاً مخلاً بصحة تصوره كالصبي فانه ليس أهلا للتكليف بالواجبات ، وفي حديث علي – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : { رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ } . (٢)

---

(١) – سورة العنكبوت الآية (٤٣).

(٢) – صحيح : أخرجه أبو داود في سننه ك : الحدود ، ب : في المجنون يسرق أو يصيب حداً ٤/ ١٤١ ح(٤٤٠٣) .

قال الآمدي : { اتفق العقلاء على أن شرط المكلف : أن يكون عاقلا فاهما للتكليف ; لأن التكليف خطاب ، وخطاب مَنْ لا عقل له ولا فهم محال كالجماد والبهيمة ، ومن وجد له أصل الفهم لأصل الخطاب دون تفاصيله من كونه أمرا ونهيا ، ومقتضيا للثواب والعقاب ومن كون الآمر به هو الله – تعالى – ، وأنه واجب الطاعة ، وكون المأمور به على صفة كذا ، وكذا كالمجنون والصبي الذي لا يميز ، فهو بالنظر إلى فهم التفاصيل كالجماد والبهيمة بالنظر إلى فهم أصل الخطاب ، ويتعذر تكليفه أيضا } . (١)

ولذلك اهتم الإسلام بالعقل اهتماما كبيراً ؛ فهو الذي من خلاله يستطيع الإنسان أن يميّز بين الأمور ويحكم على الأشياء والأشخاص ، ويبتكر ويبدع في جميع المجالات ، وقد ورد الحث على العقل والتفكير والتدبر والتفقه في العديد من آيات القرآن الكريم ، ففي العقل ومشتقاته فقط وردت في تسع وأربعين آية من آيات القرآن الكريم ، فقد جاءت بصيغة : " تعقلون " أربعاً وعشرين مرة ، وبصيغة " يعقلون " اثنين وعشرين مرة ، وبصيغة : " يعقلها " مرة واحدة ، وبصيغة : " نعقل " مرة واحدة ، وبصيغة : " عقلوه " مرة واحدة .

[ومن خلال النظر في الأساليب القرآنية الواردة في هذا الشأن نجد أن القرآن الكريم يحفز الناس على التفكير ويأمرهم به في سياقات متنوعة ، وعادة يأتي ذلك عقب ذكر العديد من آيات الله الكونية أو الإنسانية ، أو الحديث عما يتضمنه القرآن الكريم من حكم بالغة ، أو بعد الإشارة إلى بعض الأمثال أو القصص أو حتى بعد التنبيه إلى ما بين الزوجين من المودة

(١) – الإحكام في أصول الأحكام ١/ ١٥٠ ت / عبد الرزاق عفيفي ط : المكتب الإسلامي – بيروت .

والرحمة ، أو غير ذلك من أمور تتطلب من الإنسان أن يشحذ ذهنه وعقله لفهمها وإدراك ما تنطوي عليه من سنن وأسرار إلهية] . (١)

وعليه فالبناء الفكري للإنسان في جوهره يعني : تنمية العقل البشري ورعايته ، وتحريره من كل ما يعوق حركته وانطلاقه ، ثم دعوته إلى التأمل في صنع مخلوقاته ، والحث على طلب العلم والاستزادة منه ، وكل ذلك يظهر جليا من خلال معرفة الوظيفة التربوية للعقل .

المطلب الثاني : الوظيفة التربوية للعقل :

إنّ القرآن الكريم فيه من المواقف والوقائع التي تتضمن ضرورة التعقيل لما لا بد من الانتباه إليه، ومن الوظائف التربوية للعقل والذي ترتفع به إلى ما هو أكثر تقدمًا ، وأرقى مستوى وذلك فيما يلي :

١- **التفكر**: وهو من أبرز العمليات العقلية: قال الله – تعالى – : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(٢) ، وقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾(٣) ، وفي هذا دعوة لتحرير العقل الإنساني من صور الخرافة والوهم ؛ حتى يكون مهتديا إلى سبيل الحق ، داعيا

(١) – الإنسان والقيم في التصور الإسلامي أ . د/ محمود حمدي زقزوق صـ ٦٨ . هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان المبارك ١٤٣٦هـ = يوليو ٢٠١٥ م .

(٢) – سورة آل عمران الآية (١٩١).

(٣) – سورة الرعد الآية (٣-٤).

بالاحتكام إليه في معرفة حقائق الوجود ، فاصلا بين قضايا الشك واليقين ، ولم تكن الدعوة إلى تحرير العقل إلا مدخلا صحيحاً لدعوته إلى التأمل والتفكر .

٢- **التفقه والتدبر**، وهو: التفكر في المعاني المستخلصة، والوعي بالأسس والمبادئ، والادراك للغايات والمقاصد ، قال الله – تعالى – : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[١] ، وقال سبحانه : ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[٣] .

٣- **الاستنباط والاعتبار**: وهو من العمليات المنطقية الأساسية للربط بين المتناثر من الأفكار، واستخراج ما خفي من المعاني، والبحث عن المضامين غير المعلنة، فالقرآن كله كتاب هداية ومنهج حياة، وفي قصصه عبرة لأولي الألباب، وفيه بيان مشرق لكل ما يحتاجه الناس في دنياهم، وكشف عما يلقونه في أخراهم بأسلوب يخلو من الغموض والالتباس قال الله – تعالى –: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٤]، وقال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٥].

---

(١) – سورة النساء من الآية (٧٨).

(٢) – سورة الحشر الآية (١٣).

(٣) – سورة ص الآية (٢٩).

(٤) – سورة يوسف الآية (١١١).

(٥) – سورة النساء الآية (٨٣).

٤- **العلم والمعرفة**: إن العلم الذي يقره منهج الإسلام ليس علماً معيناً بذاته ، إنه يقرّ العلم الذي يوسع آفاق الفكر ويزيل المعوقات أمام التفكير العقلي ، والذي يوثق صلة الإنسان بالوجود ، ويفتح له مجالات أوسع أمام الكشف والإدراك ، ويتيح له السيادة في الكون ، والتحكم في قوى الطبيعة، والاستفادة من ذخائرها ، قال الله – تعالى – : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾(١)، وقال : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(٢).

وقبل طيّ صفحة هذا المطلب نود أن نشير إلى أساليب تنمية القدرات العقلية ؛ ليكون الإنسان مشاركاً مشاركة إيجابية في عملية التنمية ، وهي :

١- تدريب الإنسان في موقف التعلم على التفكير الشامل بدلا من التفكير الجزئي ؛ لأن التفكير الشامل يقوم على البحث التجديدي بدلا من التفكير التقليدي ، فالتفكير الشامل هو الذي يحيط بالظواهر من جميع جوانبها ويتحرى جميع عناصرها .

٢- تدريب الإنسان في موقف التعلم على النقد والنقد الذاتي ، وذلك بدلا من التفكير التبريري ، والنقد الذاتي يعني بيان أوجه القصور في تفكير الإنسان ، والاعتراف بهذا القصور والعمل على معالجتها .

٣- تدريب الإنسان في موقف التعلم على التفكير العلمي بدلاً من الظن والهوى ، فالتفكير العلمي يقوم على التروي والتثبت من كل أمر قبل الحكم عليه بالقبول أو الرفض دون تسرع في إصدار الأحكام أو الاعتماد على الظن والهوى ، وفيه تغلب على التحديات التي أفرزها التطور الهائل في التكنولوجيا .

(١) – سورة طه الآية (١١٤).

(٢) – سورة المجادلة من الآية (١١).

٤- تدريب الإنسان في موقف التعلم على التفكير الجماعي بدلا من التفكير الفردي ، ففيه تنمية مبدأ الشورى واحترام الرأي والرأي الآخر ، وبهذا لا يكون الإنسان إنساناً بجسمه وقوة عضلاته وبنيته فقط ، وإنما يكون إنسانا حقا بعقله وروحه ، فبالعلم تتحقق إنسانية الإنسان ، وفي زيادة العلم ارتقاء على درجات إنسانيته . (١)

المطلب الثالث : مبطلات التفكير السليم :

مهمة العقل هي أن يؤدي وظيفتين : الأولى : إقامة دين الله الذي يوصل إلى ثوابه ورضاه في الدنيا والآخرة ، والثانية : استغلال طاقات الأرض وعمارتها ، ولا يمكن للعقل أن يؤدي الوظيفتين كما أراد الله – تعالى – إلا إذا حُفظ مما يُفسده سواء المفاسد المعنوية والحسية .

فالمفاسد المعنوية منها : العقائد الفاسدة والخرفات الزائفة ، ففساد العقول بالتصورات الخاطئة والبدع والخرافات والأفكار الفاسدة أخطر من فسادها بالخمر ونحوه ، وهذا ما يفسر لنا بعض أسباب مكث الرسالة الخاتمة ثلاثة عشر عاماً – في الفترة المكية – تصفي فيها العقول من الشرك والوثنية والخرافات ، والذي يتأمل القرآن الكريم في هذه الفترة يجد ذلك واضحا كل الوضوح ، فالله – سبحانه وتعالى – عندما أنزل وحيه لهداية البشر، حفظ عقولهم من العقائد والخرافات .

ومنها : سؤال المنجمين والعرافين وتصديقهم في قولهم ، واتباع الهوى .

(١) – الإسلام والبناء الروحي والعقلي للإنسان صـ ١٣٢ وما بعدها ، نظرات تربوية في القرآن الكريم أ . د/ سعيد إسماعيل علي صـ٦٥ وما بعدها بتصرف ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (٢١٥) جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ = مايو ٢٠١٣م .

وهكذا يجب أن تحفظ عقول الناس ، وبخاصة المسلمين من جميع المذاهب الهدامة ، والأفكار الفاسدة التي تفسد العقول سواء كان ذلك عن طريق وسائل الإعلام المختلفة المقروءة منها كالكتب ، أو الصحف والمجلات ، أو المسموعة كالإذاعة أو التلفاز أو غيرها .

أما المفاسد الحسية فمنها : تحريم الخمر والمسكرات والمخدرات والأمور التي تذهب العقل ، قال الله – تعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١) . (٢)

المبحث الثالث : بناء الإنسان جسداً ومادياً ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : القرآن وعنايته بالأبدان :

قال الله – تعالى – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ * فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾(٣) ، وقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(٤).

لقد اعتني القرآن بالإنسان من حيث تكوينه وتنشئته ورعايته وكفالته ، متتبعاً إياه في كل مرحلة من مراحل حياته : جنينا – رضيعا – طفلا – غلاما – شابا – رجلا – كهلا – شيخا أي : منذ واقعة الميلاد حتى مفارقة الحياة الدنيا بالوفاة ، لا تستقيم أحوال الحياة إلا باستقامة وصلاح الأحياء ، وقد قالوا: العلم علمان: علم الأبدان، وعلم الأديان، ولذلك نجد القرآن الكريم اعتنى بتكوين الجنين، فذكر مراحل تكوينه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ

(١) – سورة المائدة الآية (٩٠).

(٢) – الإسلام وضرورات الحياة لـ عبد الله قادري الأهدل صـ ٩٦ وما بعدها بتصرف .

(٣) – سورة الانفطار الآية (٦-٨).

(٤) – سورة التين الآية (٤).

* ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾[1] ، ولقد وفّر له الأساس الصالح من بدايات تكوينه بعد ميلاده فأوصى الوالدين بإتمام الرضاع وعدم تعجيل الفطام: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2]، كذلك أمر الأبوين بالمحافظة على البناء البدني للإنسان والعمل على تنميته من خلال تعليمه السباحة والرماية وركوب الخيل ، وعندما أصبح الإنسان مكلّفا جعله الله مسئولا عن حفظ نفسه ورعايتها وتمتعها في المباح حيث قال: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ﴾[3] ، وأمر بتناول ما تقوم به النفس من أكل وشرب وعلاج ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾[4]، ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ * أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَآئِقَ غُلْبًا * وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾[5]، وجعل الإنسان منهيا عن إتلاف نفسه وإضعافها وتعذيبها: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟

(١) – سورة المؤمنون الآية (١٢-١٤).

(٢) – سورة البقرة الآية (٢٣٣).

(٣) – سورة القصص من الآية (٧٧).

(٤) – سورة الأعراف من الآية (٣١).

(٥) – سورة عبس الآية (٢٤-٣٢).

أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[1]، بل نهاه أيضا عن إيراد النفس موارد التهلكة: ﴿ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِۛ وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[2].

وبالجملة : لقد شُرع من أجل حفظ النفس أحكام كثيرة منها : منع القتل ، وتشريع القصاص ، ومنع التمثيل والتشوية ، ومعاقبة المحاربين وقطاع الطريق والمستخفين بحرمة النفس البشرية ، ومنع الاستنساخ البشري ، والتلاعب بالجنيات ، والمتاجرة بالأعضاء ، والتشريح لغير ضرورة معتبرة ، وحرق أجساد الموتى .

وكان من حرص الإسلام على سلامة النفس وصيانتها والحفاظ عليها أن شمل ذلك حتى في تأدية التكاليف والقيام بواجب الشرع ، فقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ ، فَقَالَ : « مَا هَذَا الحَبْلُ ؟ » قَالُوا : هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : « لاَ ، حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ » [3] ، وعَن أَبِي هُرَيْرَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالوِصَالَ » مَرَّتَيْنِ ، قِيلَ : إِنَّكَ تُوَاصِلُ ، قَالَ : « إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِ ، فَاكْلَفُوا مِنَ العَمَلِ مَا تُطِيقُونَ » [4].

كما أنّه شنّع على الذين يريدون أن يمنعوا النفس حقها من المتعة وأكل الطيبات ، فقد أخرج الشيخان عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قال : جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا ،

(١) – سورة النساء من الآية (٢٩).

(٢) – سورة البقرة من الآية (١٩٥).

(٣) – البخاري في صحيحه ك : التهجد ٢/ ٥٣ ح(١١٥٠) دار طوق النجاة .

(٤) – البخاري في صحيحه ك : الصوم ، ب : التنكيل لمن أكثر الوصال ٣/ ٣٨ ح(١٩٦٦) .

فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ، قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ ، وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وسلم إِلَيْهِمْ فَقَالَ : « أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللهَّ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ للهَّ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» . (١)

فالشرع يريد من الإنسان أن يكون سليم الجسم ، قوي البنية ، قادراً على مواجهة الصعاب التي تعترضه ، بعيداً عن الأمراض والعلل التي تشل حركته ، وتعطل مسيرته في الحياة ، إنه يعمل على تربية القوة الضابطة وتنميتها منذ نعومة أظفارها حتى تكون قادرة على العمل ، ودافعة لحركة الإنتاج والتطور ، وصالحة لعمارة الأرض وهي في سيرها تبني حضارة وتصنع تاريخاً .

المطلب الثاني : التدابير الوقائية في المحافظة على أعضاء الإنسان الجسمية :

قال الشيخ محمود شلتوت : { إنّ عناية الإسلام بالصحة لم تكن أقل من عنايته بالعلم ، ذلك أنّ الإسلام يبني أحكامه على الواقع، والواقع: أنّه لا علم إلا بالصحة، ولا مال إلا بالصحة، ولا عمل إلا بالصحة، ولا جهاد إلا بالصحة، والصحة رأس مال الإنسان، وأساس خيره وهناءته، ومن هنا عرض القرآن الكريم للمرض، وكان له في تشريعه الذي يعالج به القلوب أعظم إيحاء، وأوضح إشارة إلى اتخاذ وسائل الصحة البدنية والوقاية الصحية، وأنّه لا نعلم مقوّضا للسعادة، قاضيا على الهناءة، مفككاً لعرى التعاون، مضيعًا للعزة والسلطان مثل الأعداء الثلاثة: ١- الجهل ، ٢- المرض ، ٣- الفقر ، وهي حقًّا العدو اللدود للإنسانية ، هي

(١)- البخاري في صحيحه ك : النكاح ٧/ ٢ ح(٥٠٦٣) ، ومسلم في صحيحه ك : النكاح ٢/ ١٠٢٠ ح(١٤٠١) دار إحياء التراث العربي – بيروت .

العدو الذي يجب أن تحشد له القوى بصدق وإخلاص ، وعزم وحزم حتى تنقذ الإنسانية من شره الوبيل ، ولذلك حارب الإسلام المرض فأمر بالوقاية ، وحذر من العدوى ، وحثّ على التداوي ، وأباح للمريض والخائف من المرض إذا توضأ أن يتيمم ، وأباح الفطر في المرض والسفر والحيض والنفاس والحمل والإرضاع والشيخوخة ، كلّ ذلك عناية بالصحة ، ووقاية من المرض ، وقد استقر ذلك في نفوس المسلمين حتى اشتهر أن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان } . (١)

وهناك أمور ذكرها الإسلام وأوضح أنها من الأشياء التي تحافظ على بنيان الإنسان ، منها : [

أ- نظافة الإنسان : فيحمله على غسل بعض أعضاء جسمه عدة مرات في اليوم ، وعلى غسل جميع جسمه في مناسبات خاصة ، ويحثه على أن يحتفظ بنظافة ثوبه وبدنه وفمه عند الاجتماع واللقاء على نحو ما يحدث في صلاة الجمعة .

ب – غذاء الإنسان وشرابه : فيحرّم عليه بعض ألوان الطعام ، كما يحرم عليه بعض أنواع الشراب :﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾(٢) ، ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٣) ، ينصح الإنسان عندما يتناول طعامًا أو شرابًا ألا يتناوله إلا إذا شعر بالحاجة إليه، وبالمقدار الذي يسد به

(١) – من توجيهات الإسلام صـ ١٤٤ وما بعدها بتصرف ، منهج القرآن في بناء المجتمع صـ ٦٠ وما بعدها . سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ١٤٣٩هـ = ٢٠١٨ م .

(٢) – سورة المائدة من الآية (٣).

(٣) – سورة المائدة من الآية (٩٠).

جوعته:﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[1] ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع ".

ج- ملبس الإنسان : فيحرم على الرجل لبس الحرير وأن يختتم بالذهب ، ويحرم على المرأة أن تثير الفتنة في ملبسها :﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾[2] . [3]

ومنها: الرياضة البدنية، فإنّ لها أثرًا عظيمًا في قوة الجسم ومناعته، وهناك أنواع من الرياضة وجه الشرع الشريف النظر إليها، وهي:

١- الرماية، وبه فسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة المأمور بإعدادها في قوله – تعالى – : ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[4]، فقال : " ألا إن القوة الرمي ثلاثا " [5]، وهذا فيه تدريب وترويض للأعضاء الأمر الذي يكسبها قوة ومناعة مقصوداً في نظر الشريعة .

(١) – سورة الأعراف من الآية (٣١).

(٢) – سورة النور من الآية (٣١).

(٣) – الدكتور / محمد البهي في كتابه : الدين والحضارة الإنسانية ٢/ ٥ هدية هيئة كبار العلماء بالأزهر ربيع الآخر ١٤٣٧هـ = فبراير ٢٠١٦م ، وكتابه : الإسلام دين الإنسانية صـ ٥١ وما بعدها بتصرف ، هدية هيئة كبار العلماء بالأزهر شوال ١٤٣٨هـ =يوليه ٢٠١٧م .

(٤) – سورة الأنفال من الآية (٦٠).

(٥) – أخرجه مسلم في صحيحه : ك : الإمارة ، ب : الحث على الرمي ٣/ ١٥٢٢ ح(١٩١٧) عن عقبة بن عامر .

٢- السباحة، وروي أنّه صلى الله عليه وسلم قال: " حقّ على الوالد أن يعلمه – أي الولد – الكتابة والسباحة والرمي " [١]، والسباحة لها مميزات عدة، ومنها: ترويض لأعضاء الجسم كلّه، فهي تشمل حركة الجسم في الماء والتجديف .

٣- العدو " الجري " والمصارعة، فقد ورد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى أصحابه يتسابقون على الأقدام " الجري " ويقرهم عليه، ومسابقته لعائشة ومسابقة عائشة له صلى الله عليه وسلم ، وروي أنّه صلى الله عليه وسلم صارع رجلا معروفا بالشدة فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : عاودني في أخرى ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم في الثانية ، فقال : عاودني ، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم في الثالثة : فقال الرجل : ماذا أقول لأهلي ؟ شاة أكلها ذئب ، وشاة نشزت ، فماذا أقول في الثالثة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما كنا لنجمع عليك أن نصرعك فنغرمك ، خذ غنمك وانصرف .

٤- المبارزة " اللعب بالحراب " ، " الشيش ": فعن أبي هريرة قال: بينما الحبشة يلعبون عند النبي صلى الله عليه وسلم بحرابهم دخل عمر، فأهوى إلى الحصباء، فحصبهم بها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " دعهم يا عمر " [٢].

٥- ركوب الخيل: وقد نوّه القرآن الكريم بالخيل وذكر رباطها في إعداد القوة للجهاد :

﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٣]، كما جاء فيها: ﴿ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾[١].

(١) – أخرجه البيهقي في السنن الكبرى : ك : السبق والرمي ، ب : التحريض على الرمي ١٠/ ١٥ ح (١٩٥٢٦) عن أبي رافع ، وقال البيهقي : (هذا حديث ضعيف عيسى بن إبراهيم الهاشمي هذا من شيوخ بقية منكر الحديث ضعفه يحيى بن معين والبخاري وغيرهما) .

(٢) – أخرجه البخاري في صحيحه ك : الجهاد والسير ، ب : اللهو بالحراب ونحوها٤/ ٣٨ ح(٢٩٠١) .

(٣) – سورة الأنفال من الآية (٦٠).

وإذا كانت هذه الآثار النبوية والتعاليم الإسلامية فيما يختص بالرياضة البدنية على سبيل الاستقلال والقصد ، فهناك ناحية أخرى قصد من تشريعها التعبد كالصلاة وما فيها من الوقوف التام اتجاه القبلة ورفع اليدين والركوع والسجود والجلوس ، وكلها فيما يرى الرياضيون من أوضاع الرياضة البدنية التي أثرها في تقويم العضلات ومران المفاصل وقوتها ، وفي وضع الصلاة على هذه الهيئات والحث على استكمالها إيحاء قوي بما في الرياضة البدنية من فوائد تعود على الإنسان في جسمه وروحه ، فجدير بالإنسان أن يحرص عليها لنفسه ولأبنائه ، وأن يقوموا بها في وقتها فينعموا بقوة الجسم والروح ، وبذلك يأخذون إلى السعادة طريقاً وإلى الخير سبيلاً . (٢)

(١) – سورة النحل من الآية (٨).

(٢) – من توجيهات الإسلام صـ ١٣٩ وما بعدها بتصرف .

الفصل الثاني

البناء المجتمعي في المنهج القرآني:

المجتمع هو الأساس الأول الذي تقوم عليه بناء الدولة ، وحين يكون متيناً قوياً سيظل بناء الدولة إلى الأبد ثابتاً شامخاً ، والأفراد هم اللبنات لهذا الأساس فمتى كانت هذه اللبنات سليمة ظل المجتمع إلى الأبد متيناً قوياً ، فالعناية بالفرد أولاً ؛ لأنه لبنة في بناء المجتمع ، ثم العناية ثانيا بالمجتمع في مجموعة أفراده وبذلك تتيسر للشعب الدولة الناهضة بالحركة والحياة ، وللناس في ظل المجتمع مناهج في سلوكهم تختلف باختلاف الأفراد تبعا لاستعدادهم النفسي والخلقي والثقافي ، وللإسلام فلسفة في إصلاح المجتمع وتقويمه [1] ، وهو ما سيتم توضيحه في المباحث الآتية – إن شاء الله – :

المبحث الأول : الحديث القرآني عن الأسرة :

قال الله – تعالى – : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[2]، فحياة الأسرة جديرة دون ريب بالعناية ؛ لأنّها كانت ولا تزال أصلاً في الحياة الإنسانية والاجتماعية ، يتفرع عنه سائر فروع هذه الحياة، ولذلك استهدفت قيام الوحدة الاجتماعية الأولى وهي الأسرة على أفضل الأسس وأقواها من حيث المودة والحب والتعاطف والبر والتسامح والتعاون ومكارم الأخلاق والآداب .

ولتؤدي الأسرة هذه الوظيفة التربوية ينبغي توفّر الشروط التالية:

١ – صلاح مؤسسيها: الزوج والزوجة ومن معهما.

(١) – نظرات في الإسلام د/ محمد عبد الله دراز صـ ٦٧ ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (٢١١) صفر ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م .

(٢) – سورة النحل من الآية (٧٢).

٢ – اعتمادهما في تربية الأطفال على التربية الإسلامية بدءًا من العقيدة إلى الإعداد للحياة.

٣ – توجيه المجتمع مجموع الأسر إلى اعتماد الإسلام عقيدة ومنهج حياة.

٤ – تعاون الأسرة مع المؤسسات الأخرى كالمدرسة والجامعة ووسائل الإعلام على تربية النشء.

فإذا توافرت هذه الشروط، وتمسك المجتمع المسلم بثوابته من إسلام، ولغة، ومصالح، وأهداف مشتركة، وغيرها، انتتجت الأسر أجيالًا متعاقبة تلتزم بالقيم الإسلامية الثابتة علمًا وتطبيقًا، وتطلب العلم وتتصف بالوعي، فتكون ثابتة متطورة.

ولذلك ذكر القرآن الكريم دعائم الأسرة وهي : قوامة الزوج ، وضمان الحقوق العائلية من حيث : أ- الحقوق الزوجية : الحقوق المشتركة – حقوق الزوج – حقوق الزوجة.

ب- حقوق الأبوين، والأبناء، والأقارب: برّ الوالدين – حقوق الأبناء – صلة الرحم – النفقة على الأقارب] . (١)

وقد أسبغ القرآن الكريم على الحياة الزوجية معنى جميلا رائعا فيه تكريم لهذه الحياة وتنويه بها وإشارة إلى ما تهدف إليه من حياة السكون والاستقرار ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٢)، كما أنه حث على الوفاق والصلح بين الزوجين، وحثّ الزّوج خاصة على حسن المعاشرة وعدم الاستجابة لعاطفة الكراهية ونزوات النفس ، قال سبحانه : ﴿ وَلَهُنَّ

(١) – المجتمع والأسرة في الإسلام لـ محمد طاهر الجوابي صـ١٢٨ ط (٣) ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠م دار عالم الكتب للطباعة .

(٢) – سورة الروم الآية (٢١).

مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١)، وقال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾(٢)، وقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾(٣)، كما أوصى الإسلام الإحسان إلى الوالدين وبرهما فقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾(٤).

المبحث الثاني: التضامن الاجتماعي في البيان القرآني:

إنّ القرآن من أهدافه الجليلة : قيام مجتمع إسلامي قويّ عزيز متضامن ، يشدّ بعضه بعضًا ، متحدّ في الغايات الكريمة الصالحة التي تتحقق بها سعادته وقوته وكرامته، وقد ورد في هذا الشأن آيات كثيرة : سواء في دعوة المسلمين إلى تولي بعضهم بعضًا : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾(٥)، أو في حظر تولي الأعداء : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ

(١) – سورة البقرة من الآية (٢٢٨).

(٢)– سورة النساء من الآية (١٩).

(٣)– سورة النساء الآية (٣٥).

(٤)– سورة الأحقاف الآية (١٥).

(٥) – سورة المائدة الآية (٥٥).

إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[1]، أو في التحذير من الفرقة والاختلاف والنزاع : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾[2] ، أو في وجوب الإصلاح فيما بينهم ؛ لئلا يتصدع بنيانهم : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3]، أو في التحذير مما يحاوله الأعداء من إثارة الفتنة بين المسلمين والإصغاء لما يبثونه من وساوس وينصبونه من شباك المكايد: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾[4]، أو في التضامن في اتقاء الفتن الهوجاء التي يمكن أن تعصف ببنيانهم الاجتماعي أو تضعفه: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[5] ، أو في الوقوف موقف الحزم والشدة والحذر من الفئات المفسدة الخبيثة داخل مجتمعهم ، وهكذا كان حديث القرآن عن سنة الله – تعالى – في المجتمع الإيماني بربط نصره تعالى للمؤمنين على أعدائهم ، وبنصر المؤمنين لله واعتصامهم بدينه ، وتمسكهم بأحكامه والعمل بشرائعه ، وإقامة حدوده مرتبط أوثق ارتباط بسنة من سنن الله العامة في المجتمع الإنساني كله ، تلك هي سنة الصراع الدائم بين الحق والباطل التي يقررها القرآن الكريم كضرورة في حياة المجتمع البشرى عامة.[6]

(١) – سورة الممتحنة الآية (١).

(٢) – سورة الأنفال من الآية (٤٦).

(٣) – سورة الحجرات الآية (١٠).

(٤) – سورة النور من الآية (١٩).

(٥) – سورة الأنفال الآية (٢٥).

(٦) – مستفاد من كتاب : الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة محمد عزة دروزة ٢/ ٢١ ط : عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، سنن الله في المجتمع من خلال القرآن أ . د / محمد الصادق عرجون صـ ٣٥.

المبحث الثالث : المواطنة والعمل المشترك :

قال الله – تعالى – : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(١)، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾(٢).

إنّ المواطنة في الإطار الإسلامي تركن إلى قيم الإسلام التي تحدد الحقوق والواجبات المتبادلة في مختلف الدوائر، والتي منها دائرة الوطن: فإن كان مواطنو المجتمع كلّهم مسلمين فالأمر واضح في تساويهم في الحقوق والواجبات المتبادلة بينهم وبين دولتهم، وإن كان في المجتمع غير مسلمين فمن حقّهم التمتع بحقوق المواطنة ارتكازًا للقيم الإسلامية التي تحمي حرياتهم الدينية ومصالحهم المادية والسياسية دون غبنٍ أو جور ، وقد شهد التاريخ بالموقع المتميز لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي .

[والمواطنة تعني: ١- المساواة بين المواطنين بصرف النظر عن الاختلاف في الانتماء أو المذهبي أو الوضع الاجتماعي أو ما شابه ، ٢- التربية المدنية التي تقوم على تعليم المرء من نعومة أظافره في المدرسة قيم المجتمع الحديث : الولاء ، الانتماء ، الخدمة العامة ، المشاركة في النشاط الطوعيّ . ٣- المشاركة : وتتحقق من خلال المشاركة في شئون المجتمع ، والعمل على النهوض به ، وتحقيق التنمية الحقيقية .

ولتفعيل دور المواطنة والعمل المشترك لا بد من عدة أشياء منها : ١- ضرورة تفعيل النهج المدني والديني في مختلف مكونات المجتمعات ، وترويجه كأداة مهمة في تحقيق المساواة

(١) – سورة الممتحنة الآية (٨).

(٢) – سورة المائدة من الآية (٨).

والعدالة الاجتماعية ، ٢- إجراء الدراسات الميدانية للتحقق من أفضل السبل الكفيلة بتثبيت مفهوم المواطنة وتطبيقاتها على أرض الواقع ، ٣- الإفادة من تأثير الخطاب الديني المتنور والمتقدم والأساليب التعليمية ؛ لتحقيق الإصلاح المطلوب في سبيل المساواة والمواطنة والعدالة الاجتماعية والديموقراطية ، ٤- أهمية مفهوم الاعتدال الديني للتأسيس لحالةٍ قوية في مواجهة التطرف الديني والسياسي] .(١)

(١) - الحرية والمواطنة : التنوع والتكامل : من أعمال مؤتمر الأزهر ومجلس حكماء المسلمين عام ٢٠١٧هـ صـ١٩٢ ،٥٠١.

الفصل الثالث

التوجيهات القرآنية في بناء الإنسان عالمياً عن طريق العلاقات الدولية:

النّاس جميعًا ينتهون إلى أصلٍ واحدٍ، وإن اختلفوا أشكالًا وأجناسًا وألسنةً، وشعوبًا وقبائل، ومؤمنين وجاحدين، وأخيارًا وأشرارًا، فقد قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1]، كلّ ذلك من آيات الله – تعالى – في الكون ومظاهره، فاختلاف الأماكن يوجد اختلافًا في الألوان والألسنة، ولذلك ربط سبحانه وتعالى بين اختلاف الألوان والألسنة وخلق السموات والأرض فقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[2]، وليس ذلك الاختلاف معارضاً لأصل الوحدة ، ولا يصح أن يكون سبباً للنزاع ، بل يجب أن يكون سبباً للتعارف والتواد ، ولذا قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[3]، والمعرفة المثمرة هي التي تتلاقى فيها كل القوى الإنسانية لخير الإنسان بأن يقدم أهل كل إقليم ما عنده من خيرات الأرض وثمراتها لغيرهم ، وبذلك تتبادل المنافع ويتحقق التعارف الذي أشار إليه النص الكريم ، والإسلام – وهو آخر الأديان السماوية – الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، وآخر لبنة في

(١) – سورة النساء الآية (١).

(٢) – سورة الروم الآية (٢٢).

(٣) – سورة الحجرات من الآية (١٣).

صرح الرسالة الإلهية منظما قواعد العلاقات الإنسانية بين الآحاد والدول على أمثل طريق ، وجعل أساس العلاقات الدولية التعارف . (١)

المبحث الأول: القرآن الكريم وترسيخ القيم الحضارية:

تعدُّ القيم في كل مجتمع معايير للسلوك الإنساني ، والمجتمع المتوازن هو : ذلك المجتمع الذي ينتشر فيه الوعي بالقيم ، ومن ثم الالتزام بها ، ويرتبط بازدياد الوعي بالقيم والإحساس بها مفاهيم التقدم والتفاؤل والنظام والترابط ، والقيم ليست شيئا جديداً طارئاً على البشرية، غريبًا على تفكيرها، إنّما هي قديمة قدم الإنسان ذاته، ولكنها لم تتبلور في الأذهان وتتضح معالمها على مدى التاريخ البشري إلا بالتدريج من خلال الخبرات والتجارب الحياتية ودرجة الوعي الفردي والاجتماعي ،ولذلك بيّن القرآن الكريم قواعد القيم الحضارية ، ويظهر ذلك من خلال إبراز الخصائص الحضارية التي أرساها الإسلام ووضحها القرآن ، وهي تتمثل فيما يلي :

أولاً : إنها أول حضارة في التاريخ الإنساني تجمع بين المنقول والمعقول ، فهي ترتبط وتنطلق من وحي السماء متمثلا في الكتاب والسنة فالقرآن والسنة يهديان للتي هي أقوم في جميع جوانب الحياة الإنسانية ، قال الله تعالى :﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾(٢) ، ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)، فالتمسك بضوابط الوحي في مجال

(١) – المختار من العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ / محمد أبو زهرة صـ ٤ وما بعدها بتصرف . سلسلة مجمع البحوث الإسلامية عام ٢٠١٨م .

(٢) – سورة الإسراء من الآية (٩).

(٣) – سورة الإسراء من الآية (٨٢).

العقيدة والعبادات والأسرة والاقتصاد والسياسة وكل جوانب التشريع يجنّب الإنسان التردي في مهالك الاعتماد على العقل وحده ، أو على الخبرات الإنسانية وحدها .

ثانيًا: إنّها أول حضارة إنسانية ركزت على عمارة النفس بالإيمان والتقوى، وعمارة الكون باكتشاف السنن الإلهية التي تحكمه، وتوظيفها في كل مجالات التنمية الزراعية والصناعية والعلمية والتكنولوجية وعمارة المجتمعات بتطبيق أحكام الله وهديه.

ثالثًا: الحضارة الإنسانية أسست المجتمع على التعددية- تعدد الألوان والألسنة والأعراق والديانات – هذه التعددية هي سنّة من سنن الله في الكون: ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾(١).

رابعًا: تنطلق حضارة الإسلام من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٢)، فهي حضارة إيمانية تؤمن بكلّ أنبياء الله ورسله وكتبه، هذا الإيمان شرط أساس لإيمان المسلم، يقول تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٣).

خامسًا: الحضارة الإسلامية حضارة أخلاقية، يكفي هنا الإشارة إلى أنّ القرآن الكريم لخص رسالة الإسلام ومهمة محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾(٤).

---

(١) – سورة هود الآية (١١٨-١١٩).

(٢) – سورة آل عمران الآية (١٩).

(٣) – سورة البقرة الآية (٢٨٥).

(٤) – سورة الأنبياء من الآية (١٠٧).

سادسًا: حضارة الإسلام تقوم على الوسطية والاعتدال في كل شيء " عقيدةً وشريعةً وسلوكًا "، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(١)، قال تعالى :﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾(٢).

سابعًا: الحضارة الإسلامية تعلي من قيمة العقل، فالتفكير في الإسلام فريضة إسلامية، وطلب العلم في الإسلام فريضة، والإسلام دعا أيضا إلى استخدام الحواس والتجربة كمصدر للمعرفة، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٣).

ثامنًا: حضارة الإسلام تقوم على إطلاق الإبداع العلمي في فهم الكون والإنسان والبيئة والمجتمع والتاريخ، وتعدّ البحث العلمي انطلاقا من توجيهات القرآن والسنة.

تاسعًا: حضارة الإسلام تحض الإنسان والجماعة المسلمة على بناء أقصى قدر ممكن من القوة في كل مجالات الحياة ، وهذا يفهم من قوله تعالى :﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(٤) .

عاشرًا: حضارة الإسلام ترتكز على العدل المطلق دون تميّز، ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ

(١) – سورة البقرة من الآية (١٤٣).

(٢) – سورة النساء من الآية (١٧١).

(٣) – سورة النحل الآية (٧٨).

(٤) – سورة الأنفال الآية (٦٠).

وَٱلْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[1]، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[3].

حادي عشر: من أسس الحضارة الإسلامية إطلاق الحريات لكل الناس وفي كل الميادين بشرط البعد عن التطرف والغلو أو الإفساد والفساد، وفي مقدمة الحريات : حرية العقيدة والتدين ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ ﴾[4].

ثاني عشر: تؤكد الحضارة الإسلامية على تنمية ثقافة الشعور بالمسئولية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[5].

ثالث عشر: ترسي الحضارة الإسلامية ثقافة السلام والتعايش السلمي بين المسلمين وبين غير المسلمين الذين يعيشون داخل المجتمع المسلم.

---

(١) – سورة النحل الآية (٩٠).

(٢) – سورة المائدة الآية (٨).

(٣) – سورة النساء الآية (١٣٥).

(٤) – سورة البقرة من الآية (٢٥٦).

(٥) – سورة آل عمران الآية (١٠٤).

رابع عشر: ترسي الحضارة الإسلامية من قدرات الإنسان وجهده وإرادته نحو التغير للأحسن، ولعمارة الأرض وتنمية مكوناتها، والاستفادة من المسخرات الكونية ، قال تعالى : ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٖ ﴾(١).

خامس عشر: ترتكز الحضارة الإسلامية تركيزًا خاصًّا ونوعيا على الأهمية المحورية لمؤسسة الأسرة في حياة الإنسان .

سادس عشر: انطلقت الحضارة الإسلامية من أنّ الأمن النفسي والاجتماعي، المادي والمعنوي، الفردي والجماعي، الأمن الشامل مصدره وأساسه: الإيمان، قال تعالى:﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ * ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾(٢).

سابع عشر: حضارة الإسلام تملك ذاتيًا آليات البقاء والاستمرار رغم تبدل العصور والأزمان، ورغم ظهور مستندات حضارية جديدة باستمرار .

هذه أبرز معالم وأهداف وقيم الحضارة التي أرسى الإسلام دعائمها ، والتي بدأت مع نزول الوحي بمكة المكرمة ، ثم مع إقامة دولة الإسلام في المدينة المنورة ، والتي نمت وازدهرت خلال الأربعة قرون الأولى للهجرة ، فأهم القيم الحضارية هي : (قيمة الرحمة – قيمة التسامح – قيمة التواضع – قيمة الحياء – قيمة العلم – قيمة العمل – قيمة الحرية – قيمة الأمن – قيمة الأمانة – قيمة الوفاء – قيمة النظام – قيمة الوقت – قيمة الاحترام – قيمة

(١) – سورة الرعد الآية (١١).

(٢) – سورة قريش الآية (٣-٤).

التعاون – قيمة النظافة – قيمة الصداقة – قيمة الشكر– قيمة الانتماء – قيمة التدين – قيمة الوعي بالسنن الكونية – قيمة البشاشة – قيمة الأمل – قيمة الترويح عن النفس) .[1]

المبحث الثاني: القرآن الكريم وتوثيق العلاقات الدولية والتعايش السلمي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قواعد العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية:

إنّ الأصل في العلاقات الإنسانية هو: التعاون والتعارف المبنيّان على وحدة البشر (العائلة الإنسانية) الأمر الذي يؤدي إلى احترام الكرامة الإنسانية، وحرية العقيدة والعبادة، وأنّه لا يجبر أحد على الدخول في الدين، ولا يحاسب المرء إلا على أعماله الظاهرة الناتجة عن جوارحه التي يترتب عليه إحداث ضرر بالغير، وبالتالي فالمسلم مطالب بتحقيق العدالة والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين، كما أنّه مطالب بالسماحة وحسن الخلق حتى يقوم ببناء الحضارة وصناعة الفكر، وعالمية الرسالة، ونشر الدعوة إلى الله – تعالى – بالحكمة والموعظة الحسنة .

ونودّ أن نبدأ هنا بالقيم الإنسانية في الحروب الإسلامية، فـ [إذا كانت الحروب الإسلامية تنفرد بغايتها المقدسة وهي الجهاد في سبيل الله، أي: في سبيل الحق والعدل والحرية والفضيلة والكرامة والعزة، فإنّها – أيضا– تنفرد بقيم إنسانية لم تعرفها البشرية في تاريخها الطويل، وهذه القيم تمثل ضوابط أخلاقية وقواعد ملزمة في السلم والحرب، وأهمها:

(١)– العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية أ .د/ نبيل السمالوطي صـ ٣٤ وما بعدها بتصرف واختصار ط (١) رابطة الجامعات الإسلامية : سلسلة الدراسات الحضارية العدد الثالث عام ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م ، الإنسان والقيم في التصور الإسلامي أ . د محمود حمدي زقزوق صـ ١٤٤ وما بعدها .

١- عدم الاعتداء: قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾(١) .

٢- وجوب الإعلان: إنّ علاقة المسلمين بغيرهم إمّا أن تحكمها عهود ومواثيق، وإمّا ألا يكون بينهم معاهدات واتفاقات ، وفي كلتا الحالتين ما دام غير المسلمين مطلقًا لا يؤذون المسلمين ، فلا يجوز قتالهم أو إلحاق الضرر بهم، ولكن إذا رأى ولي الأمر أنّ في نقض العهد مصلحة للأمة عند توجس الشر ممن عاهدهم فله طرح العهد بشرط: أن يكون هذا الطرح واضحًا صريحًا مكشوفًا ، قال تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴾(٢).

٣- التخيير بين ثلاث خصال : عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهَّ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ : « اُغْزُوا بِسْمِ اللهَّ فِي سَبِيلِ اللهَّ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهَّ ، اُغْزُوا ، وَلَا تَغُلُّوا ، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا ، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا ، وَإِذَا لَقِيت عَدُوَّك مِنْ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ : اُدْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَإِنْ أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ،.. فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَسَلْهُمْ الْجِزْيَةَ، فَإِنْ أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، وَإِنْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ عَلَيْهِمْ وَقَاتِلْهُمْ .. » . (٣)

٤- مقاتلة المقاتلين دون غيرهم : فالحرب في الإسلام مقصورة على المحاربين لا تتجاوزهم إلى غيرهم ممن ألقوا السلاح أولا يمارسون القتال ، فالمقاتلون هم الذين يمثلون الفتنة ،

(١) – سورة البقرة الآية (١٩٠).

(٢) – سورة الأنفال الآية (٥٨).

(٣) – صحيح : أخرجه أحمد في مسنده : حديث بريدة الأسلمي ٣٨/ ٧٨ ح (٢٢٩٧٨) ، نيل الأوطار للشوكاني ٧/ ٢٧١ ط : دار الحديث – مصر ١٩٩٢م .

ويمكنون للشر بالفعل وبالقول ، قال الله –تعالى – : ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ ﴾(١).

٥- عصمة دماء غير المقاتلين: وقد وردت كثير من الأحاديث والآثار التي تنهي عن قتال المسالمين غير المقاتلين الذين لا يشاركون في القتال ودلالة عصمة دمائهم على أخلاقيات الحرب في الإسلام] . (٢)

أما قواعد العلاقات الدولية فهي على النحو التالي:

١- التعاون الإنساني، والذي أساسه التعاون على البّر وحماية الفضيلة، ومنع الأذى؛ لأنّ فيه عمران الأرض، ونشر المحبة بين الناس، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(٣).

٢- الكرامة الإنسانية: والكرامة التي يتم تقريرها للشخصية الإنسانية، ليست كرامة مفردة ولكنها كرامة مثلثة: كرامة هي عصمة وحماية ، وكرامة هي عزة وسيادة ، وكرامة هي استحقاق وجدارة: كرامة يستغلها الإنسان من طبيعته: ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾(٤)، وكرامة تتغذى من عقيدته: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾(٥) ، وكرامة

(١) – سورة البقرة من الآية (١٩٠).

(٢) – نحو رؤية إسلامية في القانون الدولي الإنساني أ . د / محمد الدسوقي صـ٥٣ وما بعدها بتصرف : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (١٥٦) صفر ١٤٢٩هـ = فبراير ٢٠٠٨م .

(٣) – سورة المائدة من الآية (٢).

(٤) – سورة الإسراء من الآية (٧٠).

(٥) – سورة المنافقون من الآية (٨).

يستوجبها بعلمه وسيرته : ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ ﴾[1]، ﴿ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ﴾[2].

٣- الوفاء بالعهد: فالطريقة المثلى لاستقرار السلامة، وجعل التعارف على أساس سليم هو معاهدات الأمان وعدم الاعتداء، والعزم من عاقديها على الوفاء بها: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾.[3]

٤- العدالة والفضيلة والحرية: فهذه الأمور ميزان العلاقات الإنسانية في كلّ أحوالها في حالة السلم وحالة الحرب، فلا يبغي قويّ على ضعيف، ولا يضيع حق خضوعاً لأمر الواقع ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4] ، وقال : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[5]، ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾[6].

٥- المعاملة بالمثل: فالقانون العادل يقتضي أن يعامل من يعتدي عليه بمثل ما يعامله، ولا يزيد إلا بمقدار ما يحميه من تكرار الاعتداء عليه، وإذا كان الاعتداء ظلمًا فردّه عدلٌ، قال

(١) – سورة الأنعام من الآية (١٣٢).

(٢) – سورة هود من الآية (٣).

(٣) – سورة النحل الآية (٩١-٩٢).

(٤) – السورة السابقة الآية (٩٠).

(٥) – سورة الحجرات من الآية (١٣).

(٦) – سورة يونس من الآية (٩٩).

تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1] ، فالمعاملة بالمثل يجب ألا تتجاوز الذين يقاتلون في الميدان، فلا يصح لجيش العدل أن يقتل الذين لا يقاتلون . [2]

المطلب الثاني: القرآن والتعايش السلمي بين بني الإنسان:

إنّ التعايش السلمي منهجٌ قرآنيّ ، وهدي نبويّ ، وضرورة بشريّة ، وحاجة إنسانيّة ، فالإسلام لا يعرف الانغلاق والتحجر ولا الانخراط ونسيان الذات، فكلا الأمرين ذميم، ولمّا كانت رسالة الإسلام عالمية، وأنّ من مقاصدها تحقيق العدل والمساواة والتعاون والتعارف، وأنّ الأصل في الإسلام السلام، وتأمين الناس على أرواحهم وأموالهم تراه يسعى لتأسيس سبل التعايش خارج الديار الإسلامية، فقال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾[3] ، وانطلاقا من هذه القاعدة فإنه يوضح أنه لا اعتداء ولا بغي ، وأن واجب العدل والإقساط من المسلمين تجاه غير المسلمين لا ينتفي حتى في حالة الحرب ؛ لأن الحرب والقتال في المفهوم الإسلامي إنما هو حالة طارئة يضطر فيها المسلمون لحمل السلاح واستخدامه للدفاع عن أنفسهم ، وفي الحالة الطارئة له – أيضاً – جعل له آداباً ، فالسلام إنما هو عنوان الإسلام ، ولذلك قال – تعالى – : ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[4]، وقال: ﴿ فَإِنِ

(١) – سورة البقرة الآية (١٩٤).

(٢) – المختار من العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ أبو زهرة صـ ١٠ وما بعدها بتصرف ، نظرات في الإسلام صـ ١١٢.

(٣) – سورة البقرة الآية (٢٠٨).

(٤) – سورة الأنفال من الآية (٦١).

ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾[1]، وقال: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[2] .

- **من أهم الأمور التي تساعد على تفعيل دور التعايش السلمي:**

من المعلوم أن من مقاصد القرآن الكريم: الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني ، ومما يساعد على تفعيل دور هذا المقصد أمورًا هي مجملة: وحدة الأمة – وحدة الجنس البشري – وحدة الدين – وحدة التشريع بالمساواة في العدل – وحدة الأخوة الروحية بالمساواة في التعبد – وحدة الجنسية السياسية الدولية – وحدة القضاء – وحدة اللغة.[3]

فهذه أمور إذا تمّ وضعها في الاعتبار، والاعتناء بها، والوثوق بتطبيقها، فإنّها ستكون جديرة بتحقيق مبدأ التعايش السلمي الذي نبه إليه الإسلام، وعوّل عليه القرآن .

كما أنّ هناك أمورًا مساعدة على تفعيل هذا الدور، وهي:

أولاً: الاحترام المتبادل: وذلك عن طريق التبادل التجاري، والعلاقات الاقتصادية، والمشاريع الاستثمارية، وهي دليل على قوة الروابط الاجتماعية الذي يعرف حاليًا بالتعايش الاجتماعي، فالتاجر يعرف بسلوكه وسمعته الطيبة وحسن خلقه وطيب كلامه، وكلّ ما يصدر عنه من فعل أو قول فهو يعكس ارتباطه بمعتقداته .

ثانيًا: العامل الثقافي: فالثقافة هي المستودع الكبير به عدة أشياء مختلفة، منها: المعارف المتنوعة، والمعتقدات السائدة، والقيم الأصيلة، والفنون الجميلة، وأساليب حفظ البقاء التي اكتشفها أو استعارها أو أوجدها الإنسان .

---

(١) – سورة النساء من الآية (٩٠).

(٢) – سورة التوبة الآية (٤).

(٣) – الوحي المحمدي للسيد محمد رشيد رضا صـ ٢٢٥ .

ثالثا: القوة والثقة بالنفس: فإذا كانت الحكمة تقول: " الصالحون يبنون أنفسهم ، والمصلحون يبنون الأمم "، أي: إذا كان الصالحون يبنون أنفسهم، وهو أمر جيد بلا شك، فإنّ الأمم والشعوب تحتاج إلى المصلحين الذين يبنون الأمم على اختلاف جنسياتهم وألوانهم ومعتقداتهم، ويسعون بهم إلى الارتقاء نحو الخير والفضيلة، ويقومون بدور فعال في نشر ثقافة التعايش السلمي بين الشعوب، فإنّ إصلاح الأحوال والعلاقات يحتاج إلى وقفة لمصارحة النفس، ومعالجة حالات الإنسان وتقلبات نفسه ، حتى ما يشعر المرء بأخيه الإنسان، ويسعى في إسعاده والمجاهدة في خدمته، فلا بد وأن يكون بهذا الإنسان القوة والثقة بالنفس ما يجعله صادقاً مع نفسه وإخوته في الإنسانية، وتحت مراقبة ربانية من الله – تعالى –؛ لينعم بذلك هو وسائر البشر بالأمن والأمان وبتعايش سلمي وسلام وإسلام .

الخاتمـــــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه ، وبعد :

فهذه الجولة السريعة في رياض القرآن الكريم الذي لا يزال بكرًا لم يفض، بحرًا لا ينضب، نورًا لا يخفت ، شمساً لا تغيب، المصدر الأول للشريعة الإسلامية، الذي نزل به جبريل الأمين – عليه السلام – على قلب الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ؛ ليرشد به الناس إلى ما يجب أن يأخذوا به أنفسهم، وينظموا به حياتهم، ويكوّنوا به مجتمعهم على الوجه الذي يسعدهم في الدنيا بالعزة والسلطان والتمكين، وفي الآخرة بالرحمة الدائمة وبالنعيم المقيم، فتكمل للإنسان سعادته في الدنيا والآخرة ، فهو دستور الأخلاق، وأصول التربية، ومنهاج التنشئة يحمل بين طياته لكل إنسان: فردًا – مجتمعًا – أمةً الخيرَ كلّه ، والفلاح جميعه ، واستقامة السلوك ، والبصر الواعي ، نراه اهتم بالعمارة والبناء ، وخاصة بناء الإنسان، فالقرآن الكريم جعل الموضوع الرئيسي الذي يركز عليه هو الإنسان، ولذلك كان كلّ ما في القرآن الكريم إما حديثًا عن الإنسان أو حديثًا إلى الإنسان، فالإنسان هو قضية القضايا في الدين، وهو محور هذا الكون، وهو سيّد في هذا الكون، والذي أعطى له هذه المكانة الفريدة هو الله – سبحانه – الذي جعله خليفة في الأرض، وأسند إليه مهمة تعمير الكون، وصنع الحضارة فيه، وقد تنوّع هذا البناء، فهناك بناء عام عن طريق التربية وغرس العقيدة والقيم ومكارم الأخلاق، وبناء خاص بالشخصية الإنسانية بناءً روحيا عن طريق الدين وربطها بخالقها من خلال العقيدة والعبادات وتطبيق أحكام الشريعة، وعقلياً عن طريق العلم والمعرفة والاستفادة من الوظائف التربوية للعقل ، وجسدا عن طريق المحافظة على الصحة بالنظافة والرياضة ، والبعد عن كل ما يؤذي الجسد ، بناء الإنسان مجتمعيا عن طريق روابط الكيان الأسري ، والتماسك المجتمعي الذي يطبق منهج الله في الحريات والتمتع بحقوق الإنسان ورفض مبدأ العنصرية والتمييز الطبقي بين أفراد المجتمع ، بناء الإنسان دوليا عن

طريق ترسيخ القيم الحضارية التي تحفظ للإنسان كرامته المكفولة له من قِبل الشارع الحكيم، وتوفر له الرقي والتقدم والحضارة وصناعة التاريخ ، وأيضا القواعد التي تحكم فكر وسلوك وعلاقات الناس في الدول، وتدعوهم إلى إعلاء وإفشاء قيم الأمن والسلام والتعايش السلمي .

وهكذا وجدنا القرآن الكريم قد سما بالإنسانية عن أن يكون اجتماعها وترابطها مستمدًا من أوضاع بشرية يغلب عليها العنصرية والعصبية الأمر الذي يدفع بهم إلى التفرق والخصام ، وتنتشر بينهم العداوة والبغضاء، فتتقطع الروابط والعلاقات الإنسانية، وتذهب روح التعاون والتراحم، وتطمس معالم السعادة والسرور، الأمر الذي يرفضه القرآن الكريم هذا الدستور الذي أوضح أنّ اختلاف الناس في أجناسهم وغرائزهم وطبائعهم وأشكالهم وألوانهم وألسنتهم وأراضيهم إنّما هو ليتعارفوا ويتعاونوا في الاستفادة من سنن الله في الكون والانتفاع بها، وللتمكن من توظيف المسخرات الكونية التي خلقها الله – تعالى – وسخرها للإنسان، وبذلك تتحقق العمارة في كل ميادين الحياة: المادية منها والمعنوية للفرد وللمجتمع وللإنسانية كلّها .

وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد صلاة تبصرنا بها بأسرار كتابك، وتطيب بها عيشنا، وتهذّب به سلوكنا، وتبيض بها يوم العرض عليك وجوهنا، وتشرح بها صدورنا، وتيسر بها أمورنا ....اللهم آمين .

تحرر: في شهر ربيع الأنور ١٤٤٠هـ = نوفمبر ٢٠١٨م

كتبه الراجي عفو ربه :

د/ أحمد حسين مهدي الأكرت

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بالقاهرة.

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الإحكام في أصول الأحكام ١/ ١٥٠ ت / عبد الرزاق عفيفي ط : المكتب الإسلامي – بيروت
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود العمادي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- الإسلام دين الإنسانية الدكتور / محمد البهي هدية هيئة كبار العلماء بالأزهر شوال ١٤٣٨هـ =يوليه ٢٠١٧م .
- الإسلام دين عام خالد : تحليل دقيق لمبادئ الدين الإسلامي للأستاذ / محمد فريد وجدي سلسلة مجمع البحوث الإسلامية عام ٢٠١٨م .
- الإسلام والبناء الروحي والعقلي للإنسان للأستاذ / عبد التواب إبراهيم رضوان . المجلس الأعلى للشئون الإسلامية : العدد (١٣٧) في رجب١٤٢٧ هـ = ٢٠٠٦م .
- الإسلام وضرورات الحياة لـ عبد الله قادري الأهدل .
- الإنسان والقيم في التصور الإسلامي أ . د / محمود حمدي زقزوق . هدية مجلة الأزهر لشهر رمضان المبارك ١٤٣٦هـ = يوليو ٢٠١٥ م .
- أهمية الضمير في القرآن د / هارون يحي ترجمة ومراجعة / مصطفى الستيتي .
- تاج العروس للزبيدي .
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د/ وهبة بن مصطفى الزحيلي، ط: دار الفكر المعاصر – دمشق، (٢) عام ١٤١٨ هـ.
- التفسير الواضح د/ محمد محمود حجازي، ط: دار الجيل الجديد – بيروت، (١٠)عام ١٤١٣هـ.

- الحرية والمواطنة : التنوع والتكامل : من أعمال مؤتمر الأزهر ومجلس حكماء المسلمين عام ٢٠١٧هـ .
- الحضارة فريضة إسلامية أ . د / محمود حمدي زقزوق هدية هيئة كبار العلماء ضمن مجلة الأزهر شهر رجب ١٤٣٨هـ = أبريل ٢٠١٧م .
- حقوق الإنسان في الإسلام للدكتور / علي عبد الواحد وافي ط (٣) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية جمادى الأولى ١٤٢٩هـ =مايو ٢٠٠٨م .
- الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة محمد عزة دروزة ط : عيسى البابي الحلبي وشركاؤه .
- الدين والحضارة الإنسانية الدكتور / محمد البهي . هدية هيئة كبار العلماء بالأزهر ربيع الآخر ١٤٣٧هـ = فبراير ٢٠١٦م .
- سنن أبي داود .
- سنن الله في المجتمع من خلال القرآن أ . د / محمد الصادق عرجون .
- الصحاح للجوهري .
- صحيح البخاري .
- صحيح مسلم .
- العطاء الإسلامي للحضارة الإنسانية أ .د/ نبيل السمالوطي ط (١) رابطة الجامعات الإسلامية : سلسلة الدراسات الحضارية العدد الثالث عام ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م .
- الكليات للكفوي .
- المجتمع والأسرة في الإسلام لـ محمد طاهر الجوابي ط (٣) ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م دار عالم الكتب للطباعة .

- المختار من العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ / محمد أبو زهرة . سلسلة مجمع البحوث الإسلامية عام ٢٠١٨م .
- المصباح المنير للفيومي .
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية .
- من توجيهات الإسلام للشيخ / محمود شلتوت ط (٩) دار الشروق عام ٢٠١٠م .
- المنهاج القرآني : تكوين وإقناع د/ عبد الله يوسف الشاذلي ط : المكتبة القومية الحديثة بطنطا.
- منهج القرآن في بناء المجتمع . سلسلة مجمع البحوث الإسلامية ١٤٣٩هـ = ٢٠١٨ م .
- نحو رؤية إسلامية في القانون الدولي الإنساني أ . د / محمد الدسوقي: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (١٥٦) صفر ١٤٢٩هـ = فبراير ٢٠٠٨م .
- نظرات تربوية في القرآن الكريم أ . د/ سعيد إسماعيل علي ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (٢١٥) جمادى الآخرة ١٤٣٤هـ = مايو ٢٠١٣م .
- نظرات في الإسلام د/ محمد عبد الله دراز ط : المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد (٢١١) صفر ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م .
- نيل الأوطار للشوكاني ط :دار الحديث – مصر ١٩٩٢ .
- الوحي المحمدي للسيد محمد رشيد رضا صـ ٢٢٥ .

فهـــرس الموضوعـــات

م	الموضوع	رقم الصفحة
١	المقدمة	٤٠١٧
٢	التمهيد	٣٩٦٣
٣	الفصل الأول: بناء الشخصية الإنسانية في ضوء الآيات القرآنية	٣٩٦٥
٤	المبحث الأول: بناء الإنسان روحيًّا ووجدانيًّا	٣٩٦٦
٥	المطلب الأول: الإنسان والدين	٣٩٦٧
٦	المطلب الثاني: الضمير الإنساني	٣٩٧٢
٧	المطلب الثالث: آفات البناء الروحي وكيفية علاجها في ضوء القرآن الكريم	٣٩٧٥
٨	المبحث الثاني: بناء الإنسان فكريًّا وعقليًّا	٣٩٧٩
٩	المطلب الأول: العقل ومقاصد الشريعة الإسلامية	٣٩٧٩
١٠	المطلب الثاني: الوظيفة التربوية للعقل	٣٩٨١
١١	المطلب الثالث: مبطلات التفكير السليم	٣٩٨٤
١٢	المبحث الثالث: بناء الإنسان جسدًا وماديًّا	٣٩٨٥
١٣	المطلب الأول: القرآن وعنايته بالأبدان	٣٩٨٥
١٤	المطلب الثاني: التدابير الوقائية في المحافظة على أعضاء الإنسان الجسمية	٣٩٨٨
١٥	الفصل الثاني: البناء المجتمعي في المنهج القرآني	٣٩٩٣
١٦	المبحث الأول: الحديث القرآني عن الأسرة	٣٩٩٣
١٧	المبحث الثاني: التضامن الاجتماعي في البيان القرآني	٣٩٩٥

١٨	المبحث الثالث: المواطنة والعمل المشترك	٣٩٩٧
١٩	الفصل الثالث: التوجيهات القرآنية في بناء الإنسان عالمياً عن طريق العلاقات الدولية	٣٩٩٩
٢٠	المبحث الأول: القرآن الكريم وترسيخ القيم الحضارية	٤٠٠٠
٢١	المبحث الثاني: القرآن الكريم وتوثيق العلاقات الدولية والتعايش السلمي	٤٠٠٥
٢٢	المطلب الأول: قواعد العلاقات الدولية في الشريعة الإسلامية	٤٠٠٥
٢٣	المطلب الثاني: القرآن والتعايش السلمي بين بني الإنسان	٤٠٠٩
٢٤	من أهم الأمور التي تساعد على تفعيل دور التعايش السلمي	٤٠١٠
٢٥	الخاتمة	٤٠١٢
٢٦	فهرس المصادر والمراجع	٤٠١٤
٢٧	فهرس الموضوعات	٤٠١٧